ملف خاص

عام من التضحيات ومواكب الشهداء

ما وراء حسابات الربح والخسارة فى طوفان الأقصى 6-7

جر مصر للصراع كابوس لا يتمناه أشد الصهاينة تطرفاً 05

خطيئة سوريا «كشفت» حزب الله وأوقعته فى شباك «العدو»

فى عام ٢٠١٤ جمعنى لقاء مع احد قيادات حزب الله ، على هامش مؤتمر سياسى كانت تستضيفه العاصمة السودانية الخرطوم ، وكنت أحضره بصفتى الصحفية .فى ذلك الوقت كان حزب الله فى ذروه تورطه او تدخله فى مستنقع الدم السوري، حين أرسل الالاف من عناصره للقتال إلى جانب النظام السورى ضد الانتفاضة الشعبية التى بدأت سلمية وسرعان ما تحولت إلى حرب أهلية دامية والتى كادت أن تطيح بنظام الأسد لولا الدعم والاسناد الإيرانى ،وكان حزب الله جزءا من ذلك الإسناد.

خلال تلك الفترة انتشرت على نطاق واسع صور ومشاهد منسوبة لمسلحى الحزب وهم يستجوبون ويعذبون المعارضين السوريين بصورة بشعة، بينما يرفعون ويرددون شعارات طائفية طافحة.كما نسب لهولاء المقاتلين الكثير من الجرائم والممارسات والانتهاكات اللا أخلاقية بحق السوريين والنساء السوريات .

سألت هذا القيادى البارز والذى كان مسؤول العلاقات العربية فى حزب الله أنذاك ،عما إن كانت قيادة الحزب تدرك حجم الثمن الفادح الذى دفعه الحزب من صورته وسمعته فى الشارع العربى نتيجة تورطه فى سوريا و الجرائم التى اقترفها مقاتلوه هناك؟ وكيف تحول من قوة مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى تحظى بشبه اجماع فى الشارع العربى ، وكيف كان الناس يحتفلون به وبصموده فى وجه العدوان عام ٢٠٠٦، إلى جماعة طائفية والغة فى الدم السورى ؟

وقد فاجأنى الرجل بصراحته حين أخبرنى أن الحزب يدرك جيدا فداحة هذا الثمن، كما يدرك حجم الضرر الذى لحق به بصورته فى الشارع العربى جراء تدخله فى سوريا ..لكنه استدرك قائلا إن هذا التدخل كان مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا ....» أرجو أن تفهموا جيدا أننا ما تدخلنا دفاعا عن نظام بشار الأسد بقدر ما كنا ندافع عن وجودنا نفسه، ولإبعاد السكين عن رقبتنا بمنع سقوط النظام فى سوريا».

أضاف متسائلا: «هل تعلم ما معنى أن تسقط سوريا فى يد الجماعات المتشددة والجهادية والتكفيرية، وما معنى أن يسقط نظام الرئيس بشار ..معناه اننا سنكون الضحية القادمة».

خلال النقاش قدم الرجل الكثير من الحجج والمبررات التى اعتبرها برأيه كافية لارسال مقاتلى الحزب إلى سوريا، وقد انتهى النقاش بيننا وأنا مازلت متمسكا بموقفى بأن حجم الخسارة التى لحقت بالحزب وصورته كحركة مقاومة وطنية لبنانية كانت أفدح بكثير من أى مكسب يتصور او يظن أنه حققه نتيجة هذا التدخل الذى جعله يبدو مجرد بيدق من بيادق إيران والحرس الثورى الإيراني. تقبل الرجل وجهة نظرى برحابة صدر ودعانى لزيارة بيروت لاستكمال النقاش يوما ما وهى الزيارة التى لم تتم .

اليوم وبعد مرور عشر سنوات على هذا النقاش، يتضح ويتكشف أن حجم خسارة حزب الله نتيجة تورطه فى سوريا كان أفدح من مجرد تضرر صورة وسمعة الحزب..بل إن المحنة الوجودية التى يعيشها الحزب وأنصاره فى هذه اللحظة عقب الضربات المزلزلة التى تلقاها من إسرائيل والتى بلغت ذروتها باغتيال الأمين العام للحزب حسن نصر الله ومعظم قيادات الصف الأول به، وهذه الاختراقات الإسرائيلية المدهشة لصفوفه وكوادره، كانت فى أحد جوانبها إحدى ثمار الحصاد المر للتدخل فى سوريا . إذ شكل هذا التدخل كما تشير بعض التقارير الاستخبارية فرصة ذهبية ثمينة لإسرائيل لدراسة وتتبع عناصر وقيادات الحزب وجمع معلومات شاملة عنهم. بل ومراقبة وتقييم ادائهم ومدى كفاءتهم القتالية خلال وجودهم فى سوريا .

صحيفة الفاينشال تايمز البريطانية وفى تقرير لافت لها بعنوان «حسن نصر الله وبشار الأسد: الحرب السورية التى غيرت حزب الله « كشفت عن أن تدخل الحزب فى سوريا منذ عام ٢٠١٢ لدعم نظام الأسد فى قمع الانتفاضة المسلحة ضده ونشر الالاف من مسلحى الحزب على الأراضى السورية كان مثل «كعب أخيل» بالنسبة لإسرائيل لاختراق ومراقبة الحزب وعناصره. إذ شكل ذلك فرصة ذهبية لإسرائيل الفرصة لقياس وتقييم قوة الحزب عسكريا وكفاءة مسلحيه، كما أنه مكن الاستخبارات الإسرائيلية من جمع كم هائل من المعلومات عن قادة عمليات حزب الله وأخلاقياتهم ومدى التزامهم الحزبي،

وحسب تقرير الصحيفة فان هذا الانتشار لمقاتلى الحزب فى سوريا وسعى الحزب لتجنيد المزيد من المقاتلين جعلهم عرضة لاختراق وربما التجنيد من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية .

وتضيف الصحيفة فى تقريرها أن تورط حزب الله فى الحرب فى سوريا أتاح الكثير من البيانات لعملاء إسرائيل - ولخوارزمياتها - ومن بين هذه البيانات كانت إعلانات القتلى فى صفوف مسلحى الحزب، والتى كانت تحتوى على معلومات مثل البلدة التى ينتمى إليها المقاتل، والمكان الذى قتل فيه، وأصدقاؤه الذين ينشرون الأخبار على وسائل التواصل الاجتماعي. كما كانت جنازات هولاء القتلى فرصة أخرى لعملاء إسرائيل لجمع المزيد من المعلومات. فقد كانت هذه الجنائز فرصة لمراقبة بعض القادة الكبار الذين يخرجون من الظل، ولو لفترة وجيزة لتشييع بعض الضحايا.

وتنقل الفاينشال تايمز عن سياسى لبنانى سابق رفيع المستوى قوله إن اختراق حزب الله من قبل المخابرات الإسرائيلية أو الأمريكية كان «ثمن دعمهم للأسد....كان عليهم أن يكشفوا عن أنفسهم فى سوريا»، حيث اضطر التنظيم السرى فجأة إلى البقاء على اتصال ومشاركة المعلومات مع أجهزة المخابرات السورية الفاسدة أو مع أجهزة المخابرات الروسية التى كانت تخضع للمراقبة الدائمة من جانب الامريكان».

كل ذلك وغيره مع ما تملكه إسرائيل من إمكانيات تقنية متقدمة ووسائل تجسس ومراقبة فائقة الدقة، سمح لها بجمع كميات هائلة من المعلومات والبيانات والصور التى تولت وحدة متخصصة بالمخابرات الإسرائيلية تعرف باسم «وحدة ٩٩٠٠»، مهمة فرزها وتحليلها وترجمتها إلى معلومات محددة عن كل أنشطة وعناصر الحزب وهوياتهم وأماكن وجودهم .. وحسب التقرير فإنه بمجرد تحديد هوية أحد عناصر حزب الله، يتم رصد تحركاته اليومية وإدخالها فى قاعدة بيانات ضخمة، حيث يتم جمع المعلومات من أجهزته الإلكترونية أو الأجهزة الخاصة بعائلته.. وهكذا نجحت إسرائيل ومخابراتها فى اختراق صفوف حزب الله وصولا إلى قادته الكبار.. ونتيجة ذلك كان هذا الزلزال الذى ضرب الحزب وقيادته بشكل لم يحدث منذ تأسس الحزب قبل أكثر من أربعين سنة.

ومع ذلك يظل السؤال.. هل كان التورط فى سوريا وحده المسؤول عن هذا الانكشاف الأمنى المدهش لحزب الله فى مواجهة إسرائيل ، أم أن ثمة عوامل عديدة أخرى ساهمت فى ذلك، وعلى رأسها التفوق التكنولوجى والدعم والاسناد اللوجستى غير المحدود لاسرائيل من جانب الحلفاء الغربيين؟ .. وأيا تكن الإجابة فإن تدخله فى سوريا ،كان نقطة تحول تاريخية لم يعد الحزب بعدها كما كان قبلها ولن يعود !

بقلم: شحاتة محمود

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 336 -السنة الثالثة عشرة-

الإثنين 7 أكتوبر 2024 م

الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

يحيى قلاش:

الإعلام مكبل فى الطوفان 03

چورچ شيحان:

الوجود المارونى فى مصر 04

محمود قاسم:

بيع أصول السينما عار 10

«ألسنا بشراً مثلكم؟»

منحنى العيش فى غزة منظوراً عميقاً وصعباً فى كثير من الأحيان للحياة. أنا لا أشعر بالخوف عادة، لكن الأشياء التى نراها ونسمعها مخيفة للغاية. حتى فى الليل، علينا أن نبحث عن ركن آمن للنوم فيه، تحسباً لانهيار المنزل فوق رؤوسنا.

فى غزة، جميع المواقع غير آمنة. لا يوجد مكان بعيد عن القصف، والموت ليس بعيدا أبدا.

عشت فى غزة طيلة حياتي، ولكن اضطررت إلى مغادرة منزلى فى أكتوبر ٢٠٢٣. وفى الوقت الحالي، أعيش فى شرق غزة مع عائلتي. نحن سبعة أشخاص فى غرفة واحدة، وهناك عائلة أخرى مكونة من سبعة أشخاص فى غرفة أخرى. ننام بالقرب من بعضنا البعض.

ليس لدينا أى مياه فى المنزل بأكمله ومخزون المواد الغذائية على وشك النفاد. كان الدقيق باهظ الثمن ونادراً، لذلك اضطررنا فى بعض الأحيان إلى استخدام علف الحيوانات للخبز. أشعر بالحزن على أخواتى لأنهن لا يحصلن على التغذية التى يحتجنها. إنهن أطفال وأجسادهن تنمو، لذلك غالبا ما يشعرن بالتعب.

بالنسبة للشباب مثلنا، فإن العيش فى منطقة الصراع له تأثير يمكن أن يستمر طوال حياتنا. كل شيء هنا فى حالة من الفوضى، كل الأشياء التى نراها ونسمعها، وحتى المكان الذى نعيش فيه. إنه يقيد وصولنا إلى التعليم والعمل والبيئة الآمنة.

ويعانى العديد من الأطفال من الصدمة نتيجة مشاهدة العنف وفقدان أحبائهم، ويمكن أن يكون لذلك آثار نفسية طويلة المدى. علاوة على ذلك، فإن الانهيار الاقتصادى ونقص البنية التحتية يجعل من الصعب على الشباب تصور مستقبل مستقر، أو التخطيط لحياة طبيعية. إننا نواجه العديد من العوائق أمام أحلامنا وتطلعاتنا، مما يجعل حتى الرغبات البسيطة مثل السفر صعبة. هناك نقاط تفتيش، وفحوصات أمنية مذلة، ورحلات طويلة لتقديم طلبات الحصول على تأشيرات، والتى يتم رفضها فى الغالب.

وهذا يجعلنى أرغب فى طرح سؤال واحد على الناس فى الغرب وإسرائيل: «ألسنا بشراً مثلكم؟» والجواب؟.. حسنا، ليس هناك إجابة.

الحياة هنا أصبحت غير طبيعية لأنه لم يعد هناك شيء عادي. وللتغلب على هذه الحقائق القاسية، يتبنى الشباب استراتيجيات مختلفة للبقاء. نحن نعيش يوماً بيوم، ونجد العزاء فى الأفراح الصغيرة والعواطف الشخصية.

خلق عوالم شخصية والمشاركة فى الأنشطة التى نحبها يوفر ملاذاً مؤقتاً وإحساساً بالحياة الطبيعية. التمسك بالآمال والأحلام هو عامل حاسم للبقاء. وعلى الرغم من الظروف القاتمة، فإن هذه الأحلام تعطينا سبباً للصمود والمضى قدماً، حتى عندما يبدو المستقبل غامضاً. هناك الكثير من الأشياء التى ما زلت أريد القيام بها. أريد أن أصبح مصورة. أنا أكتب أيضا. أنا متأكدة من أنه فى يوم من الأيام سيكون هناك كتاب من تأليفى

يقرأه العالم كله.

إذا بقيت على قيد الحياة، سأخرج وأرى العالم. سأرى كل الأشياء التى قرأت عنها. أنا شخصية فضولية للغاية، وأريد أن أعرف كل شيء عن العالم خارج بلدي. أريد أن أعيش بشكل طبيعي.

أحاول النظر إلى الأمور بتفاؤل. إذا انتهت الحرب، فيمكننى أن أخرج إلى الشارع وأشعر بالأمان مرة أخرى، على الرغم من أننى لا أعرف مدى احتمال ذلك، أو ما إذا كنت سأظل على قيد الحياة بعد الحرب. لكن من الأشياء التى يمكن أن تساعدنى هو عدم الشعور بأن قضيتنا مهمشة والجميع يتجاهلها.

من الضرورى أن يدعو العالم إلى إيجاد حلول سياسية ومفاوضات سلام لمعالجة الأسباب الجذرية للصراع. ومن المهم أيضاً لبقائنا المباشر أن نتلقى المساعدات الإنسانية مثل الغذاء والرعاية الطبية والدعم النفسي. ونحن بحاجة إلى مساحات آمنة للتعليم والتنمية الشخصية، لتوفير ملجأ ومساعدة الشباب على الاستعداد لمستقبل أفضل.

نحن بحاجة إلى الاعتقاد بأن هناك أملاً، ولكن الآن أصبح الأمر أكثر صعوبة. فى غزة، لا نشعر بأن أحداً يهتم بنا. يشعر الشباب بأن العالم الخارجى قد تخلى عنهم، فالصراع مستمر ولم يعد الناس مصدومين مما يحدث لنا. نحن فقط ننتظر من يخبرنا أن الحرب قد انتهت.

مقال بدون اسم فى صحيفة الجارديان البريطانية كتبته سيدة عمرها ٢٤ سنة عاشت فى غزة طوال حياتها، وعملت مع منظمة Plan International كسفيرة للشباب. وتكتب دون ذكر اسمها لحماية نفسها.

اغتيالات القادة لن تنهى المقاومة .. بل تخلق جيلا أكثر تشددا يتعلم من التجارب

أوهام تعظيم الاستخبارات الإسرائيلية

رغم اغتيال رمز الحزب وقائده السياسى والدينى « السيد»مع معظم قيادات الجيلين الأول والثاني.. إلا أن ذلك لا يعنى القضاء على ميليشياته وقدراته العسكرية..

عملية اغتيال القادة التى تنفذها إسرائيل بتعاون استخباراتى دولى وحققت إنجازات كبيرة فيها لن تنهى المقاومة.. فهى لم تصل حتى الآن إلى القادة الميدانيين ولا عناصر الجهاز الأمنى للحزب الذين يستخدمون أسلوب المقاومة فى غزة فى التواصل، ونالوا تدريبات جيدة فى إيران وتشبعوا ايديولوجيا فى معسكرات الحرس الثوري، ويجيدون الحديث بالفارسية.

هؤلاء القادة من العناصر الشابة ويمثلون تيار الصقور المتشدد الذى وجه انتقادات كثيرة لقيادة الحزب السياسية والإدارية فى الأيام التى شهدت اغتيال القيادات بسبب الخطوط الحمر التى تضعها لحجم الرد ونوعية الصواريخ المستخدمة.

لا يعنى اغتيال قادة وحدات الصواريخ والمسيرات والاستخبارات.. بالإضافة إلى أعلى السلم السياسى ممثلا فى السيد.. أن الحزب قد انهار. على العكس ستكون إسرائيل أمام جيل غير معلوم لا تدركه شبكات التجسس الممتدة ولا المخابرات الدولية المنتشرة فى بيروت وفى الضاحية الجنوبية خصوصا.

جيل القادة والمؤسسين كان مخترقا منذ تدخله فى الحرب الأهلية السورية.. ومن خلال أجهزة الإتصال التى يستخدمونها، وحتى شبكة التليفونات الأرضية التى تسلم فريق التحقيق الدولى فى مقتل رفيق الحريرى رئيس الوزراء الأسبق الداتا الخاصة بها.. وقد وقعت فى يد الاستخبارات الإسرائيلية والدولية، ولا شك أنها تضم خطوط قيادات الحزب التى كشفت عن منازلهم ومقراتهم.

الأكثر أن مقر قيادة الحزب الذى جرى نسفه بـ٨٠ قنبلة فراغية مخترقة للتحصينات، كان معلوماً لإسرائيل.. واستغرق رصده وفق المعلومات التى بثها الإعلام الإسرائيلى وقتا طويلا.. وكان من السهل اغتيال السيد فيه. تحركاته معروفة من خلال الحراس الذين يظهرون وراءه خلال خطبه. من السذاجة ظهورهم بوجوه مكشوفة جعلت التعرف عليهم سهلاً فى الضاحية ومعرفة تحركاتهم التى لابد أنها ترافق تحركات السيد.

ومنذ يوم الأربعاء قبل الماضي، قبل مغادرة نتنياهو إلى نيويورك.. توصلوا إلى وجوده بالتحديد داخل المقر المحصن تحت إحدى البنايات التى تم تدميرها.. لكنهم كانوا يريدون صيدا أثمن، اغتيالا جماعيا لكل القادة الذين وصلت معلومة بأنهم سيجتمعون بالسيد.. وبالتالى أبلغ نتنياهو فى نيويورك بأن اللحظة مهيأة لتنفيذ الهجوم، فأعطى الأمر.. وتحقق الاصطياد الجماعى الذى شمل أيضا «زينب» ابنة السيد التى كانت حاضرة.

نعم الضربة موجعة لكنها ليست قاصمة.. ولا تعنى طى صفحة الحزب.

التهلهل الأمنى الذى يؤدى إلى اغتيال قيادات الصف الأول.. لا ينطبق على القادة الميدانيين ولا على مواقع الصواريخ التى يتضح أن إسرائيل لم تتوصل إليها.. يترجم ذلك أنها بدأت تدميرا جماعيا للبيوت والقصور اعتقاداً بأنها تضم مخازن الأسلحة.

أرسل الحزب صاروخا تجاوز مداه ١٥٠ كم ووصل شرق القدس.. وهذه المسافة تعنى أن

القادة الميدانيين بدأوا يتحللون من الخطوط الحمر التى وضعتها القيادة التى تم إبادتها.. وهو ما حذرت واشنطن تل أبيب منه. إذ إن غياب القيادات الكبرى قد يحول ترسانة الصواريخ الضخمة التى تتجاوز ٢٠٠ ألف صاروخ إلى جماعات قتالية عديدة تتصرف بقرارات مستقلة على طريقة أمراء الحرب فى الصومال إبان حربها الأهلية، وعلى طريقة الجماعات الافغانية أيضا، وهذه لم تستطع الولايات المتحدة مواجهتها وانسحبت أمامها.

سياسة الاغتيالات ستجعل المنطقة على حافة الهاوية ولن تنجح أى جهود دبلوماسية فى وقفها.

تقول CNN إن إسرائيل تخاطر بتحويل أسبوعين من الضربات الوحشية إلى خسارة أخرى طويلة المدى لهيبتها.

تتابع: أمام نتنياهو خيار حاسم يتعين عليه أن يتخذه. فهل ينقذ الأسبوعان الماضيان سمعته المحلية فيما يتعلق بالأمن ويتركانه فى وضع أفضل لمواجهة القضايا المرفوعة ضده؟ أم أنه يرى مرة أخرى أن الحرب المستمرة دون توجيه استراتيجى واضح هى أفضل وسيلة للمضى قدمًا؟.. فى نهاية المطاف، يجب أن ينتصر مجال الرؤية الأوسع. يحتاج الوضع إلى تسوية سياسية ووقف لإطلاق النار الآن، بغض النظر عما يعنيه ذلك بالنسبة لمصير النخبة السياسية الحالية فى إسرائيل.

أوقع اغتيال (السيد) الرئيس جو بايدن فى مأزق: بينما لم يذرف أحد فى البيت الأبيض أى دموع عليه، فإن الضربة التى أطاحت به أدت إلى تفاقم المخاوف من تصاعد الصراع وتوسعه.

جنون العظمة الذى يجتاح نتنياهو ونخبته حاليا سيجره إلى صراع مع عناصر لا يعلم عنها شيئا، ولا تحيط أجهزته التجسسية ومراكز التنصت والمسيرات باتصالاتها وقراراتها.. ولو قرر الدخول البرى فهو يجهل حجم المقاومة على الأرض التى ستقابله.

يثير قلق واشنطن المعلومات التى وصلتها بأن قيادات الظل فى المقاومة رفضت اقتراحا من طهران بارسال مستشارين لإعادة هيكلة القيادة الجديدة.. كأنها ستتخلى عن خطوط طهران الحمر بعد تخليها عنهم.

تقول شبكة CNN: السؤال الأكبر والقلق بالنسبة لإدارة بايدن هو ما هى التداعيات التى ستترتب على وفاة السيد فى الأيام والأسابيع المقبلة فى المنطقة.

لذلك قال بايدن اليوم "لقد حان الوقت لوقف النار فى ظل المخاوف من التصعيد".

ستدرك إسرائيل أنها كانت تواجه دولة ممثلة فى "الحزب" ذات قيادات معروفة يمكن التحاور معها، وأن (السيد)كان بمثابة رئيس جمهورية يمكن أن يجلس على طاولة مفاوضات.. الآن بات عليها أن تقاتل كائنات مجهولة وصواريخ فشلت فى شل قدراتها أو تعطيلها.

لا يهم من السيد الجديد.. الأهم من هؤلاء الذين يقودون الميدان.. قد تغتال إسرائيل أى سيد جديد.. لكن كيف ستصل إلى القوة الحقيقية التى يمكن معادلتها بسنوار غزة؟!

×××

يجرى الآن تعظيم إعلامى للاستخبارات الإسرائيلية فى اعقاب اغتيال معظم قيادات الحزب، ويهدف ذلك لإعادة هيبة فقدتها فى ٧ أكتوبر وفشلها فى الوصول إلى الرهائن فى غزة رغم أنها تسيطر عليها وتستخدم إمكانيات السى آى ايه والمخابرات البريطانية.

الاغتيالات التى تمت للقيادات والوصول إلى مقراتهم بدقة تمثل حالة خلل أمنى كارثية سواء للجهاز الأمنى للحزب ولاستخبارات الحرس الثورى الإيرانى أيضا المخترق فى قلب طهران والتى أغتيل إسماعيل هنية بين ظهرانيها وفى أحد مقراتها السرية.

هذا الضعف لا يعنى قوة الاستخبارات الإسرائيلية وتفوقها مع الاعتراف بتفوقها السيبرانى والتقنى والتكنولوجى وفى مجال الدرونز المعلوماتية.

لكنها تجد دعماً كبيرا من الاستخبارات الأمريكية والبريطانية بما تملكه من تكنولوجيا متقدمة وأقمار صناعية تجسسية تغطى فضاء الشرق الأوسط وتتنصت على شبكات الاتصالات.. إضافة إلى استخبارات بعض الدول العربية التى تتعاون معها أمنيا ومعلوماتيا.

لكن ما أوقع زعيم الحزب ومعظم قادته هم العملاء على الأرض. بيروت بيئة خصبة للجواسيس كقبرص واليونان. ليس أسهل هناك من تجنيد الجواسيس فى البيئة الحاضنة للقيادات المستهدفة مثل الضاحية فى ظل غباء أمنى واضح.

نتذكر عندما أجبرت مقاتلات إسرائيلية طائرة مدنية عراقية على الهبوط فى مطار بن جوريون عام ١٩٧٣ بهدف اعتقال الدكتور جورج حبش الذى كانت لدى الموساد معلومات مؤكدة أن حبش بين ركابها.. ثم سمح لها بالإقلاع عندما تبين خطأ تلك المعلومات.

الأمر لم يكن كذلك. كانت المعلومات دقيقة جداً وكان المفترض أن يكون حبش مسافراً على متنها.. لكن أمراً شخصيا جعله يؤجل سفره فى اللحظة الأخيرة.

وهنا كان السؤال: من هو العميل فى بيروت الذى أخبر الموساد حيث يوجد مكتب ياسر عرفات قبل إخراجه منها. لم يكن يعلم بسفر جورج حبش إلا هو طبعا وأبو عمار.

وظهرت المفاجأة أن العميل هى مديرة مكتب عرفات فى بيروت.

حتى بعد انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس كان العامل البشرى ممثلا فى الجواسيس وسيلة الموساد لرصد المنظمة وقياداتها ومباحثاتها.

كان العميل مفاجأة.. إنه عدنان ياسين نائب السفير الفلسطينى فى تونس حتى عام ١٩٩٣.

كان ياسين مكلفا بأهم الواجبات التى تجعل أبا عمار وأبا إياد وأبا جهاد فى قبضة الموساد. كان ياسين مسؤولا عن ترتيب سفر وتنقلات المسؤولين الفلسطينيين من والى تونس وتأثيث مكاتبهم ومنازلهم.

لم يكتشفه أحد إلا الاستخبارات الفرنسية بطريق الصدفة عندما ألتقطت بواسطة أقمارها الصناعية ذبذبات أجهزة التنصت فى السيارة المرسيدس التى كانت تنقل القادة الفلسطينيين وأبلغت السلطات التونسية وقتها..

كانت ابنته عايدة تعيش مع زوجها فى قطاع غزة.

نجح السنوار خلال وجوده فى سجون الاحتلال فى دراسة تلك الخطط وتجنيد الجواسيس التى يعتمد عليها الموساد وجهاز أمان.. وتوصل إلى نقاط ضعفها وهى كثيرة. وعندما آل إليه الأمر فى غزة وضع هدفه الأول كشف العملاء وقتلهم وهذا ما حدث.. ثم اعتمد على الاتصال الشفهى مبعداً أى تقنيات حديثة. الرسائل مع السنوار وردوده عليها تستغرق من أربعة أيام إلى أسبوع كأنه يعيش فى عصر الحمام الزاجل. أساليب قديمة جعلت الاستخبارات الإسرائيل بكل الدعم الذى تلقاه من المخابرات الأمريكية والبريطانية والأقمار الصناعية عاجزة عن حل لغز مكان اخفاء الرهائن أو الوصول إلى السنوار.

العكس تماما بالنسبة للحزب وحليفه إيران. زعيمه لم يكن يستخدم إطلاقا الهواتف المحمولة أو الاتصال الأرضى أو يشاهد التليفزيون.. لكنه أهمل العنصر البشري. لم يستفد من تجارب سابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية أو حتى أسامة بن لادن الذى كان تتبع أحد الأشخاص الذين يتولون خدمته وسيلة الوصول إلى مكان اختبائه.

حراس السيد الراحل معروفون فى الضاحية وتتبعهم أو اختراقهم سهل.. بل قد يكون أحدهم هو العميل نفسه. جميع القادة الذين تم اغتيالهم شاركوا فى الحرب بين النظام السورى والمعارضة وكانوا يستخدمون الهواتف المحمولة فى إتصالاتهم.. ومن ثم نجحت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والدولية فى التعرف عليهم ورصد مقراتهم ومنازلهم وحتى شققهم داخل أبراج بيروت.

إضافة إلى ذلك فقد حصلت تلك الاستخبارات على المعلومات التى قدمت لفريق التحقيق الدولى فى اغتيال رفيق الحريرى وتتضمن منظومة الإتصالات والتحويلات البنكية والبنك الخاص بالحزب.

نأتى إلى نقطة أخيرة.. هل استخبارات الحزب على درجة من الضعف أنها لم تعرف مصير السيد بعد الغارة العنيفة إلا بعد يوم كامل رغم أن إسرائيل دمرت منافذ دخول وخروج المبانى الأربعة أو الستة والشارع الذى بينهم والذى كان تحته المقر السرى المحصن للقيادة المركزية؟..

ليس دقيقاً.. الحزب عرف مقتله بعد دقائق وأبلغ بها بعض الصحفيين الذين يثق فيهم.. بغرض منحهم الوقت اللازم ليكتبوا عن الرجل ويجمعوا المعلومات الخاصة بسيرته، لكنهم طلبوا منهم عدم الإعلان عم ذلك إلا بعد بيان الحزب.

عُثر على جثة السيد دون أى جروح.. فقد مات من أثر التفريغ التى أحدثته القنابل المفرغة بعد اختراقها الحصون حيث تسحب الأوكسجين تماما من المكان المستهدف.

لقد مات مختنقاً.

بقلم: فراج إسماعيل

مدير تحرير قناة العربية سابقا

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة - الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

لا تلبَس الدنيا، فإنّ لباسَها سَقَمٌ،
وعَرِّ الجِسمَ من أثوابها
أنا خائفٌ من شرّها، متوقّعٌ إكآبها، لا الشّرْبَ من أكوابها
فلتفعلِ النفسُ الجميلَ، لأنّه خيرٌ وأحسنُ، لا لأجلِ ثوابِها
(أبو العلاء المعري)

الإعدام.. ولاء وأخواتها وفقراء ينفذ عليهم الحكم

مطالب عالمية بإلغاء العقوبة وإجراءات غامضة تسبق التنفيذ فى مصر

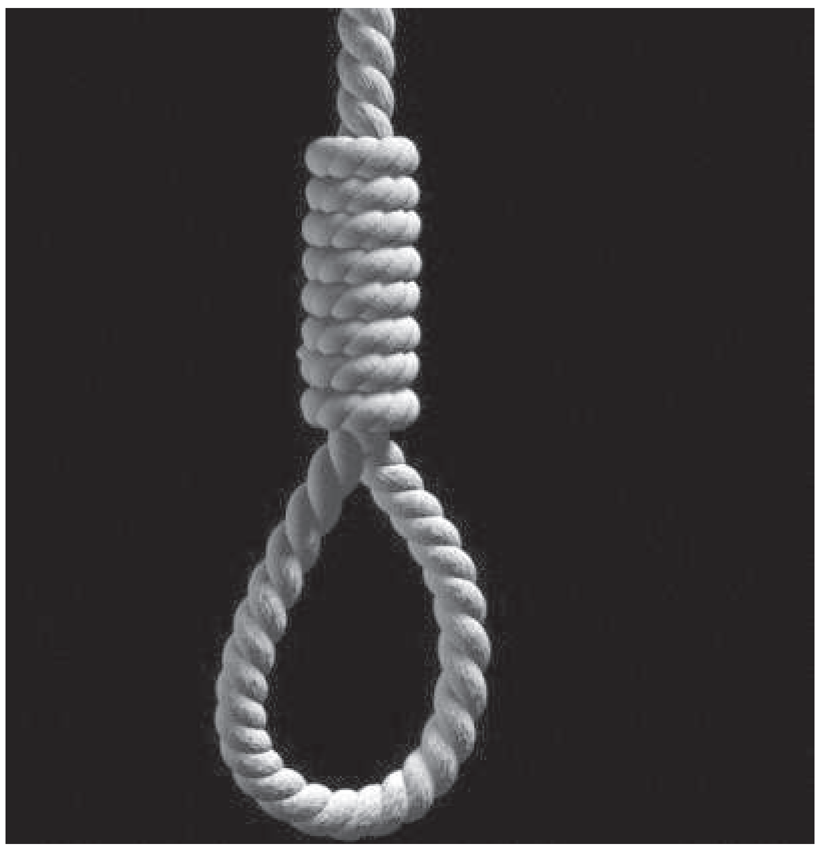

مشهد ١

– قالت لي: ولاء «اسم مستعار» اللى فى المخصوص «عنبر المحكومين بالإعدام» لمحت ملايتك البامبى «اللون الوردي»، فسألتنى بتاعة من.. قلتلها بتاعة الصحفية اللى فى عنبر خمسة.

قالتلى والنبى يا شهد (اسم مستعار) استأذنيهالى افرشها يومين..

«باقتضاب» وقلب مقبوض رديت: طبعا..

بعد يومين.. عادت لى بـ «الملاية» وهى بتقولى خلاص مبقتش محتاجاها.. راحت للى أحسن منى ومنك..

المشهد السابق حدث بالفعل وحديث مر عليه أعوام دار بينى وبين المنوطة بغسل غسيلى ونشره فى فناء السجن مقابل (أروسه سجاير) فى الشهر.

مشهد سبب المرار فى حلقى لسنوات، وشكل الكثير من ذاكرتى عن السجن والفقراء وعقوبة الإعدام.

فى الحقيقة كانت ولاء فى عمر الثامنة عشر عندما هيأ لها شيطانها بإيعاز من خطيبها الأكبر سنا إمكانية سرقة عمتها الطاعنة فى السن، حتى يتمكنا من إتمام زواجهما المتعثر، ومواجهة الأهل الذين يعارضون الزواج نظرا للعسر المادى الذى يلازم العريس الشاب؟

ولكن حظهما العاثر، وتهورهما أدى إلى لجؤهما لقتل العمة عبر خنقها، بعد أن حاولت الصراخ والاستنجاد بالجيران، بينما يحاولان الفرار بمصوغاتها الذهبية.

كانت عقوبة الإعدام شنقا لولاء وخطيبها هى ما رأته المحكمة حكما عادلا على ما اقترفا من ذنب، وذلك بعد أن انتهيا من كافة درجات التقاضى المعمول بها فى تلك الحالات، وظلت ولاء نزيلة ما يطلق عليه بالسجن عنبر «المخصوص» لسنوات، تتعذب فى انتظار حكمها النهائي، بينما تتشح باللون الأحمر المقبض، الموصوم به نزلاء ذلك العنبر الشهير.

ظلت ولاء لسنوات فى انتظار ساعة الصفر، حيث لا يعلم أبدا المحكومون، أو أيا من ذويهم بموعد التنفيذ، حتى يفاجأون ذات يوم، إما خلال الزيارة كما جرى مع والدة ولاء، التى بلغت بخبر إنهاء حياة ابنتها بينما هى تستعد لرؤيتها، وأحيانا عبر الاتصال الهاتفي، لاستلام الجثمان.

شخصيا عايشت بعضا من تلك الأحداث، والإجراءات الملازمة لها، والزحام الذى أصاب ذلك العنبر الكئيب، بحسب قدامى السجينات، اللاتى صرحن أنه طالما كان هذا العنبر خاليا، إلا بالقليل من المحكومات، كما أن تنفيذ الحكم نفسه كان أمرا بالغ الصعوبة، حيث كان يتطلب الأمر توقيع رئيس الجمهورية بنفسه، وهو ما كان يتجنبه كثيرا الرئيس المخلوع حسنى مبارك، وذلك بعكس العهد الحالي، حيث ازدحم العنبر بشكل غير مسبوق، ومنذ تاريخ إنشاء سجن النساء فى منطقة القناطر الخيرية منذ العام ١٩٥٧.

أما مواعيد التنفيذ المفاجئة فكان يلازمها عددا من الإجراءات المعروفة، منها قطع الكهرباء عن السجن بأكمله بشكل مفاجئ، إذا تم اتخاذ قرار ترحيل المحكومات بالإعدام ليلا، حيث يتم ترحيلها إلى أحد السجون المعروفة بوجود ما يسمى بالطبلية، والمجهزة لتلك الحالات، والتى من أشهرها سجن الاستئناف.

مع حلول كل ليل.. وعلى مدار سنوات دهرية تعيش المحكومة بالإعدام، شعورا لا يمكن وصفه، ورعبا لا يضاهيه إلا انقطاع الكهرباء المفاجئ، إذ يعنى الأمر أن الاختيار وقع على إحداهن أخيرا، فيعشن دقائق وصفتها إحداهن بالسنوات شديدة الطول، والسواد فى الشعور بها، ووصفتها أخرى بشعور الماشية ليلة العيد، وهى تنازع الخوف، واليقين من النهاية المحتومة، وتطلق أصواتا لا يخطؤها البشر، وإن كانوا لا يلقون لها بالا.

ولكن الحق يقال فالكشف الطبي، والتثبت من حالة «الأضحية» ضرورة يفرضها القانون، حيث يقوم رجال الأمن وبمساعدة حارسات السجن بـ «تكتيف» الضحية للكشف عليها، والتأكد من حالتها الصحية كشرط من شروط توقيع عقوبة الإعدام.

إعدام.. للفقراء فقط !

وبينما استنفدتنى تلك المشاهد واسترجاعها راعنى مشهد آخر وخبر جديد يعنى بنجاحات، ومناصب يتقلدها رجل الأعمال والمدان بقتل المطربة سوزان تميم، هشام طلعت مصطفى الذى وثقت كاميرات المراقبة فى دبى دلائل على وقوع تلك الجريمة عبر رجله الضابط السابق محسن السكري، فكان السجن لخمسة عشر عاما من نصيب هشام، وفيما بعد تم تخفيض العقوبة لثمانى سنوات، وهاهو يملأ الإعلام صخبا بمشاريعه، وأبنيته الفاخرة التى لا تنتهي، وإنجازاته التى لا تصب إلا فى مصلحته الشخصية، اما السكرى الذى تم توثيق جريمته بالصوت والصورة فخرج بعد عشرين عاما، ليبدأ حياته من جديد.

هشام ليس المثال الوحيد على أبناء الطبقة المخملية الذى لا يعرف له عشماوى طريقا حتى وإن قام بالترصد لضحاياه، وخطط لإنهاء حياتهم، فجريمة أركاديا التى جرت وقائعها فى مطلع الألفينات، أحد تلك النماذج التى يتذكرها جيلي، حين قتل عمر الهوارى ابن العائلة المعروفة محمود محيى روحى رجل الأعمال الشهير، فى قلب «المول» الذى لا يعرف له سبيل إلا أبناء الطبقة المخملية، وانتهت بالحكم على القاتل بعقوبة المؤبد.

الإعدام بين المحلى والعالمي

ترى منظمة العفو الدولية أن عقوبة الإعدام هى أقصى أشكال العقوبة القاسية واللا إنسانية والمهينة، وتعارض المنظمة عقوبة الإعدام فى جميع الحالات بدون استثناء بغض النظر عن طبيعة الجريمة أو ظروفها؛ أو الشعور بالذنب أو البراءة أو الخصائص الأخرى للفرد؛ أو طريقة تنفيذ الإعدام.

النضال العالمى ضد هذه العقوبة، كان نتيجته تبنى المجتمع الدولى العديد من الصكوك التى تحظر استخدام عقوبة الإعدام، من بينها التالي:

– البروتوكول الاختيارى الثانى الملحق بالعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والذى يهدف إلى إلغاء عقوبة الإعدام.

– البروتوكول رقم ٦ الملحق بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، والمتعلق بإلغاء عقوبة الإعدام، والبروتوكول رقم ١٣ الملحق بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، فيما يتعلق بإلغاء عقوبة الإعدام فى جميع الظروف.

– بروتوكول الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان لإلغاء عقوبة الإعدام.

وتعد كل من الصين، وإيران، والولايات المتحدة، ومؤخرا مصر من الدول الأكثر تطبيقا لتلك العقوبة.

فى مصر خصوصا كشفت منظمة العفو الدولية فى التقرير السنوى لها حول عقوبة الإعدام عام ٢٠٢١ بأن عدد عمليات الإعدام المسجلة فى مصر ازداد ثلاثة أضعاف فى عام ٢٠٢٠ ما جعلها الدولة الثالثة فى العالم الأكثر تنفيذاً لعقوبة الإعدام بعد الصين وإيران.

وبحسب المفوضية المصرية للحقوق والحريات التى تعمل على هذا الملف محليا، تصاعدت وتيرة تنفيذ الحكم بشكل ملفت منذ العام ٢٠١٤ وحتى ٢٠٢١، حيث كانت ١٥ حالة، ووصلت إلى ١٧٦، فى حين رصد تقرير إحصائى آخر فى الفترة ما بين يناير، وديسمبر ٢٠٢٣ صدور ٤٥٤ حكماً فى ملف الإعدام فى كافة مراحل المحاكمات لمختلف القضايا الجنائية.

الخبير فى ملف الإعدام الحقوقى دكتور شريف عازر أضاف ملاحظاته الخاصة بتطبيق تلك العقوبة فى مصر، وقال « لاتزال أحكام الإعدام فى مصر تصدر فى محاكمات جماعية، يزيد من ذلك استخدام محكمة النقض للنظر فى القضايا دون إحالتها لمحكمة جنائية، كما كان الحال من قبل».

ويلفت عازر إلى انتهاكات جسيمة تخص الأمر منها عدم إبلاغ الأهالى بيوم الإعدام، وعدم السماح لهم بالزيارة النهائية، فى حين لاتزال السلطات المصرية تستخدم التعذيب لانتزاع الاعترافات التى يمكن أن تؤدى إلى تلك العقوبة، كما ظهر فى قضية الأب اشعياء.

بالتوازى وثقت حملات المفوضية أيضا انتهاكًا صارخا للحق فى الدفاع، حيث لم يكن للعديد من المتهمين أى تمثيل قانونى يوم إصدار الحكم النهائي.

تمييز على أساس الجنس يجعل النساء أقل حظا فى الإفلات من حبل المشنقة

فى فلسفة العقوبة أيضا يؤكد شريف عازر أن عقوبة الإعدام لا تردع الجريمة، حيث تم دحض هذا الادعاء مرارا وتكرارا، فليس هناك أى دليل على أن عقوبة الإعدام أشد ردعاً فى الحد من الجريمة أكثر من السجن المؤبد، كما حذر من استخدام العقوبة استناداً على اعترافات شابها تعذيب المتهمين، وعدم التمثيل القانونى المناسب.

من جانب آخر يشير عازر على ما أثبتته كافة التجارب المحلية، والدولية، من ان عقوبة الإعدام عقوبة تمييزية، حيث يكون المنتمون للطبقات الدنيا، والأكثر فقرا هم الأكثر عرضة لتطبيق عقوبة الإعدام، معتبرا أن نقص أو عدم الحصول على التمثيل القانونى الجيد سببا مهما لحدوث ذلك، فللعدالة رسوم مادية ضخمة يجب دفعها مقدما للحصول على خدماتها بما فيها حق الدفاع.

وفى ظل أن الإعدام عقوبة لايمكن ردها، ووسط مناخ سياسى يشوبه القمع، يخشى دائما استغلال العقوبة لمعاقبة المعارضين السياسيين، كيفما يرى عازر.

النساء وعقوبة الإعدام

سالى طفلة صغيرة يتيمة تربت فى إحدى دور الأيتام فى محافظة الإسكندرية، حيث مكثت هناك إلى أن أصبح عمرها ١٩ عاماً ليتم تزويجها من أحد الأشخاص كثير التردد على السجن لينتهى بها الحال مطلقة فى شوارع الإسكندرية لمدة ٨ أشهر قبل أن تنتقل إلى بولاق الدكرور حيث التقت بزوج آخر وهو تامر سعيد وهو المتهم الثانى فى القضية، وتزوجا بالرغم من عدم وجود أى مصدر عمل أو دخل له.

اعتاد زوج سالى إدمان المخدرات، حيث كان يحصل على ثمن شرائها من سالى التى لجأت للخدمة فى البيوت لسد احتياجاتها اليومية. أثناء حمل سالى فى الشهر الثامن قام زوجها بتحريضها على سرقة مخدومتها كى توفر له مالاً لشراء المخدرات وتأمين مصاريف ولادتها التى أوشكت، إلا أنه كما يحدث عادة فى مثل هذه السرقات قامت سالى بقتل مخدومتها خوفا من أن تبلغ عنها الشرطة.

واتهمت سالى وزوجها بتهم القتل العمد والسرقة والاستيلاء على أموال الضحية وحيازة سلاح أبيض دون ترخيص، أنجبت سالى طفلة أثناء المحاكمة ثم أخذت الطفلة منها ولم ترى طفلتها منذ أكثر من ٣ سنوات ولم تتلق سالى زيارة واحدة حيث لا يوجد لها أى أهل.

وطبقاً لتوثيق حملة أوقفوا عقوبة الإعدام فى مصر التى تبتها المفوضية المصرية للحقوق والحريات، لم تتلق سالى حق التمثيل القانونى الكافى الذى قد يسمح لها بتخفيف عقوبة الإعدام. فلم يحضر معها محامى منذ لحظة القبض حتى مثولها أمام محكمة الجنايات التى قامت بانتداب محام لها. كما لم تقم النيابة أو المحكمة بالاطلاع على الملف الخاص بسالى فى وزارة التضامن الاجتماعي، كامرأة نشأت فى دور رعاية أيتام، كما لم تقم النيابة أو المحكمة باتخاذ أى إجراءات لفحص الوضع النفسى والعقلى لها.

وحاليا تنتظر سالى تنفيذ حكم الإعدام، فيما حكم على زوجها بالمؤبد..

ترى الباحثة فى برنامج الإعدام بالمفوضية المصرية إيمان وسيم أن قصة سالى هى نموذج دال على كثير من أحكام الإعدام فى مصر، فسالى المرأة المستضعفة، الحامل، الفقيرة المعرضة للعنف طوال الوقت، تحولت فى لحظة من مجنى عليه إلى جانية.

وسيم تلفت إلى أن مقارنة اعداد المنفذ بحقهم عقوبة الإعدام بين الرجال، والنساء عملية ليست منطقية، فالجرائم التى تستدعى هذا الحكم وهى ١٠٠ جريمة تقريبا فى قانون العقوبات المصري، أغلبها يقوم بها الرجال، نظرا لطبيعتها كجرائم الثأر، او السرقة، أو الشجارات، أو الناتجة عن إدمان مواد مخدرة تسلب الذهن، والمنطق، لذا فالنظر لكل قضية بذاتها هو الوجه الأمثل للتوصل إلى حقيقة موقع النساء من تلك العقوبة.

وجود النساء فى جرائم تستدعى تلك العقوبة بحسب منظور المشرع المصري، غالبا مايكون عاملا مساعدا، مثل حالات مشاركة الرجال السرقة، أو قتل الزوج بمشاركة عشيق، وغالبا العنف الأسرى الواقع على المرأة يمثل عاملا أيضا مهما، وفى أغلب الأحيان بحسب وسيم تكون المرأة واقعة تحت سيطرة الرجل، كحالة سالى التى ضغط زوجها عليها لسرقة مخدومتها.

تلفت وسيم إلى أن الأحكام خصوصا فى حالة الزنا، او بالاشتراك مع عشيق، غالبا ما تتدخل فيها نظرة القاضى الأخلاقية، وفى كل الأحوال يظل للفقر حضورا ضخما فى تاثيره على ارتكاب جرائم تؤدى لإنزال عقوبة الإعدام على المتهمين، النساء منهم خصوصا، نظرا لأوضاعهم الاقتصادية، والاجتماعية الأضعف.

حضور العنف فى قضايا النساء عامل بالغ لا يمكن التغاضى عنه أيضا..

فى هذا الصدد أصدرت المبادرة المصرية ورقة بحثية عام ٢٠٢١ حول قضايا إعدام النساء فى مصر، لفتت إلى ان نسبة كبيرة من النساء المحكوم عليهن بالإعدام هن نساء تعرضن للعنف، حيث تتحول المجنى عليها فى هذا السياق إلى جانية فى بعض الأحيان – وهى حقيقة غير مرئية فى قصص الكثير من النساء المتهمات بالقتل

أوردت المبادرة فى ورقتها أن الكثير من الدول تتعرض فيها النساء إلى التمييز المبنى على «الجندر» فى عدة مراحل أثناء التقاضي، أول أشكال هذا التمييز هو صعوبة إثبات التعرض للعنف المنزلى وذلك بسبب غياب القوانين التى تتعامل مع هذا النوع من العنف والانتهاكات التى تحدث داخل المنزل. مرورًا باقتصار مفهوم الدفاع عن النفس لدى النيابة والهيئة القضائية على وجود إصابات بالغة وظاهرة على المجنى عليها أولًا، وثانيًا على وجوب ارتكاب فعل الدفاع عن النفس فى لحظة وقتية تتعرض فيها السيدة إلى ضرر يؤدى إلى أذى بدني/ جنسي، أو إلى وفاة وهذا التعريف ليس فى مضمونه ديناميكيات العنف المنزلى والجنسى الواقع من المعارف على نساء من ضمن عائلاتهن، سواء من الأزواج أنفسهم أو الذكور الأقارب.

من قبل صرحت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، ميشيل باشيليت، بأن المساواة بين الجميع أمام القانون، والمساواة فى حماية القانون دون تمييز، تتطلب عدم فرض عقوبة الإعدام بطريقة تمييزية.

وقالت باشيليت: «تواجه النساء تمييزاً بين الجنسين فى تطبيق عقوبة الإعدام. على سبيل المثال، فيما يتعلق بالسلوك الذى لا يواجه الرجال الإعدام بسببه، أو قد لا تتم حتى مقاضاتهم لأجله. تظهر الأبحاث أنه لا يتم الحكم على النساء على أساس جريمتهن فحسب، بل لأنه يُنظر إليهن على أنهن قد خُنّ الأدوار التقليدية للجنسين».

كما صرحت مفوضة حقوق الإنسان بأنه «فى الحالات التى تنطوى على العنف المنزلي، قد تعانى النساء من الاضطهاد القائم على النوع الاجتماعى على مستويات متعددة».

وتابعت قائلة إنه «لا يزال من النادر للغاية أن يتم التعامل مع العنف المنزلى والعنف الجنسى كعوامل مخففة فى أحكام الإعدام». وحتى فى البلدان التى تصدر أحكاما تقديرية لعقوبة الإعدام، «غالبا ما تتجاهل المحاكم أو تستبعد أهمية العنف القائم على النوع الاجتماعي».

تحقيق : أسماء زيدان

الكتاب ينتمي إلى عالم «الأدب غير الخيالي» الباحث عن الحقيقة بتقنيات أدبية

”عباقرة ومنتحرون“ ينفض الغبار عن مواهب مصرية طواها النسيان

يعد كتاب خيرى حسن «أرواح على الهامش... عباقرة ومنتحرون» (دار ابن رشد). ضمن الأدب الموسوم بـ”الأدب غير الخيالي“ ”literary nonfiction“ ويقصد به الكتابات النثرية التى تستند على الأحداث والشخصيات الحقيقية. وبعبارة أخرى هو الأدب القائم على الحقائق ولكن مكتوب بطريقة إبداعية، مما يجعله ممتعًا للقراءة مثل الإبداع الخيالي، وهذا النوع الأدبى يقتبس العديد من التقنيات الخاصة بالأدب الخيالي، فبه شخصيات، وصراع وحبكة، وسياق تدور فيه الأحداث، ولغة مجازية أيضًا. مثل السير الذاتية أو السير الغيرية/ التراجم أو المذكرات، ويشمل أيضًا أدب الرحلات، والكتابة عن العلوم والطبيعة والرياضة والتأريخ الأدبي، وكذلك الحوارات والمقالات الصحفية التى يتم فيها التناول بشكل أدبي، فيما يسمى بالصحافة الأدبية literary journalism وهذا النثر يستخدم التقنيات الأدبية المرتبطة عادة بالأدب الخيالى للحديث عن الأشخاص والأماكن والأحداث فى العالم الحقيقى دون تغيير الحقائق.على عكس الأدب الخيالي، الذى يقدم معلومات أو أحداث أو شخصيات من المتوقع أن تكون خيالية جزئيًا أو إلى حد كبير، أو تترك مفتوحة فى كيفية إشارة العمل إلى الواقع.

وفى الأدب غير الخيالى عادةً ما يُعتبر تضمين المعلومات التى يعرف المؤلف أنها غير صحيحة، عمل غير نزيه أو غير أخلاقي. وربما من أشهر الذين كتبوا فى هذا النوع الصحفية البيلاروسية «سفيتلانا أليكسييفيتش» التى حازت على جائزة نوبل للأدب على هذا النوع الأدبى عام ٢٠١٥.

تقنيات سردية أدبية

يعتمد كتاب «أرواح على الهامش» على التقنيات السردية الروائية واللغة الأدبية المجازية، فى حكيه الذى يصفه بـ«النصوص» لسيرة تسعة شخصيات مصرية عاشت فى القرن الماضي، تجمع بينهم الموهبة، والنهايات التعيسة، معركة بين الموهوبين وأنصاف الموهوبين، فيهم من انتحر، وفيهم من اعتقل، وفيهم من أودع «السرايا الصفرا/ مستشفى المجانين»، وفيهم من دهسته عجلات السيارات غيلة وغدرًا، وفيهم من سقط فى شرك المخدرات، وفيهم من لم يجد حلًا لمشاكله مع العالم وتجاهل المجتمع له سوى بشرب «بوليس النجدة»، حكايات صيغت بلغة أدبية فيها من الاستقصاء الصحفى والعمل الدؤوب الباحث عن الحقيقة لا شيء سواها. ينفض الغبار عن شخصيات رحلت ولم يعد يتذكرها أحد، وربما هذه واحدة من أهم مميزات الكتاب فى أنه اختار أرواحا كما يقول العنوان هامشية، لم يسمح لها مع ما كانت تمتلكه من مواهب فذة أن تدخل فى دائرة المتن المملوء بأنصاف الموهوبين الذين لا يسمحون أن يدخل وسطهم ما يكشف زيف وضعف موهبتهم.

والعنوان الفرعى للكتاب «عباقرة ومنتحرون»، جاء بمعناه المجازى فمن بين الشخصيات التعسة التى فى الكتاب فقط شخصيتان انتحرتا بينما بقية الشخصيات ربما يصح وصفها بأنها قد اغتيلت على يد سلطة تعادى التعدد وأى صوت يخالف صوتها، لا تتورع فى أن تكيل التهم له وتلقى به فى غياهب السجون أو مستشفيات المجانين أو ما ترى من صنوف أخرى من العذاب لاتفرغ أبدًا حيلها. الانتحار الذى شغل مصر فى الآونة الأخيرة بسبب انتشاره بين الشباب تحت عجلات المترو، أو القفز من أعالى الكبارى المارة على نهر النيل، أو حتى إلقاء أنفسهم من بروج مشيدة مثل برج القاهرة، مما جعل مصر الأعلى فى المنطقة العربية وفى قارة إفريقيا فى نسب الانتحار، وكأن خيرى حسن يريد أن يقول إن الظلم المجتمعى الدافع إلى الانتحار ليس جديدًا على مصر، وأفقدها الكثير من قواها الناعمة والمواهب التى كان بإمكانها أن تقدم الكثير لبلادها.

كلهم أعدائي

ويبدأ خيرى حسن بالحديث عن الروائى والقاص «رجاء عليش» (١٩٣٢: ١٩٧٩م) الذى تأخذ قصته وحدها نحو ثلث الكتاب، وبذل المؤلف جهدًا كبيرًا فى إماطة اللثام حول تلك الشخصية، مستعينًا آليات السرد الروائى مثل تقنية الإرجاع فهو تارة يعود إلى زمن الذى عاش فيه وبالتحديد آخر ثلاثة أشهر من حياته فى عام ١٩٧٩، عودة إلى الماضى يتداخل معها الحاضر ورحلة خيرى حسن لمعرفة ملابسات انتحاره مع من عايشوه، يتواصل مع أسرته التى ترفض الحديث عنه، يعود إلى أرشيف صحيفة الأخبار ينبش فى كل مكان ويطرق باب كل من يظن أن لديه معلومة تفيده. يعتمد على آلية التركيز أو إبطاء علمية الوصف كما يطلق عليها الناقد الشكلانى الروسى «شكلوسفكي» (١٨٩٣: ١٩٨٤م) للكشف عن الحالات الفارقة، فتقنية تطويل الحدث والتركيز عليه تدفعنا إلى أن نولى تلك

الجزئية اهتمامًا أكثر، وتسقط عنه الألفة وتجعلنا ننظر إليه بزاوية جديدة تعيد للحدث طزاجته ونقاءه الأول. ورحلة بحث المؤلف لا تتوقف عند عالم الأحياء فقط بل إنها تمتد لتغوص فيما كتبه المؤلف لتستخرج كيف خطط لإنهاء حياته فى عملين له الأول مجموعة قصصية «لا تولد قبيحًا» والثانى رواية «كلهم أعدائي».

يتمتع الأديب محمد رجاء عليش بلغة شاعرية جزلة رصينة عانى من التهميش لم يلق يدًا تمتد لتنتشله من بؤسه، أهدى كتابه إلى العديد من المؤسسات لم تنشر خبرًا حتى واحدًا عنها، مرة واحدة نجحت محاولاته الفاشلة حين أهدى لمصطفى عبدالله رئيس تحرير «أخبار الأدب» فى تلك الفترة يقول له فى الإهداء «وزعت شبابى على نساء لم يحببني، ومنحت صدقاتى لرجال خانوني، وخسرت على طوال الخط»، فنشر عنه خبرًا جعله يؤجل الانتحار الذى خطط له لثلاثة أشهر، حتى انتحر فى الأخير بطريقة درامية إذ فجَّر شقته، وفى وأطلق على رأسه الرصاص فى سيارته الخاصة، وأرسل رسالة إلى النائب العام يخبره فيها بأسباب انتحاره إنه جحود المجتمع له، وتبرع بثروة طائلة للمؤسسة التى نشرت خبرًا عن أعماله تقدر بالملايين وكذلك لاتحاد الكتاب المصريين يطالبهم فيها أن يستغلوها فى عمل جائزة باسمه للأدباء الشبان الموهوبين التى أغلقت عليهم كل الطرق من أجل الوصول ونيل الاعتراف الأدبي، إلا أن تلك الوصية رفضت لأن فى وجه نظر المؤسسة التى أوكل لها هذه المهمة قد مات منتحرًا كافرًا.

وتلك الحكاية تكشف عن الدور الخطير الملقى على عاتق النقاد الجادين فى البحث عن الأقلام الشابة ودعمها بالكلمة، فالنقد رسالة قد تنقذ حياة إنسان، إن تخلت عن «الشللية»، والبعد عن الكسل بالبحث عن إبداع الشباب، الذين أغلقت المؤسسات الكبرى الباب فى وجههم.

بوليس النجدة

والشخصية الثانية التى انتحرت هى الممثل «عبدالمنعم إسماعيل» الذى اشتهر بأداء دور ابن البلد فى العشرات من الأفلام، انتحر بشرب ”بوليس النجدة“ وهو نوع من المبيدات الحشرية، بسبب الفقر وعدم إسناد المخرجين له أى أدوار، ويصحح ”خيري“ طريقة انتحار هذه الممثل على عكس ما هو شائع بأنه ألقى بنفسه فى النيل فى عام ١٩٧٠، بينما الصحيح أنه انتحر فى ١٩٦٦ وذلك بالرجوع إلى الصحف التى نشرت أخباره فى هذه الفترة. أما الشخصية الثالثة التى كان انتحاره اختيارًا رغم أنه حى حتى الآن اللاعب المصرى «محمد عباس» الذى يحكى بأنه كان يفوق اللاعب المصرى الشهير محمود الخطيب موهبة إلا أنه اختار طريق المخدرات، حتى ألقى القبض عليه وتم سجنه.

زوار الفجر

والقسم الثانى من المنتحرين فى الكتاب يتعلق بهؤلاء الذين أفرط النظام فى تعذيبهم فهذا هو الصحافى «أبو الخير نجيب» الذى قضى عمرًا فى سجون جمال عبدالناصر نحو ١٧ عامًا لأن طالب بالديمقراطية، وقد كان هذه الحكم تخفيفًا عن حكم إعدام صدر بحقه بتهمة الخيانة العظمى ثم لقى حتفه بعد خروجه تحت عجلات أتوبيس نقل عام، وهناك الشاعر المصرى «زكى عمر» صاحب أغنية «مدد مدد شدى حيلك يا بلد» التى سطا عليها أحد الشعراء ونسبها نفسه، هذا الشاعر الذى احتضنته سجون «عبدالناصر» وحين خرج منها سافر إلى اليمن فى عدن ليموت غرقًا هناك.

ويعود ما يطلق عليهم فى مصر «زوار الفجر» ليعتقلوا المفكر «إسماعيل المهداوي» لكن هذه المرة ليأخذوه إلى مستشفى المجانين ليقضى فيها سنوات طويلة.

وينتهى الكتاب بقصة ذات طابع رمزى وإن كانت حقيقية تجسد ما تعانيه المواهب فى مصر من إهمال فتضيع على البلاد ثروات كبيرة بهم، منهم ذلك اللاعب الذى يدعى «محمد مرسي» كان يشهد له بالبراعة ويهتف باسمه فى كل مكان يلعب فيه فى شارع أو مدرسة وأنه سيكون الخطيب الجديد، لكن هذا الحلم مع ما ضاع من أحلام ولم يبق شيئًا.

وفى الأخير فى إن كتاب «أرواح على الهامش» مثال جيد لما يعرف بالصحافة الأدبية التى تقع ضمن دائرة الأدب غير الخيالى خاصة فى قصته الأولى عن «عليش» ومما يأخذ عليه فقط غياب الترتيب فى شخوص المسرود عنها لا بسياق زمنى أو أبجدي، وغياب الوحدة الموضوعية للشخصيات المتناولة، فكان أولى بالعنوان الذى يتناول فكرة «عباقرة ومنتحرون» أن نتناول هؤلاء العباقرة المنتحرون فقط وهم كثر وكان يمكنه أن يوسع تلك الدائرة لا على المصريين فقط ويضم إليها شخصيات مبدعة من مختلف الأقطار العربية، وكان من الممكن تخصيص كتاب منفصل للحديث عمن عانوا من وطأة «زوار الليل» من المبدعين، وآخر لهؤلاء الكتاب الذين عانوا من التهميش من المبدعين، وآخر لمبدعين رحلوا فى حوادث سير أو قتلًا على يد جاهل لا يدرك قيمتهم، كل ذلك من أجل إعطاء الكتاب وحدة موضوعية وتيمة رئيسية متماسكة. خاصة مع كتاب يتمتع بلغة سلسة أدبية واختار قضية مميزة كى يناقشها فى الصراع الأبدى بين الواهبين وأنصاف الموهوبين.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة -الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب
وردتْ فقلتُ غزالة مذعورة
قد راعها وسط الفلاة بلاءُ
وبدتْ فقلتُ البدرُ ليلةَ تمه
قد قلدته نجومها الجوزاءُ
بسمتْ فلاحَ ضياءُ لؤلؤِ ثغرها
فيه لداءِ العاشقينَ شفاءُ
(عنترة بن شداد)

يحيى قلاش: هزيمة 67 دفعتنى للصحافة وطوفان الأقصى فضحت الأوهام

الإعلام المصرى والعربى مكبل ويعبر عن المواقف الرسمية ولا يعبر عما يجيش بصدور الشعوب

الإبادة كشفت انحياز وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل وعرت أوهام حرية الإعلام الغربى

رفع سقف الحرية كفيل بإعادة الحياة للصحف الورقية فى مصر

النقابة أحالت أسماء كبيرة للتأديب بسبب التطبيع منهم أنيس منصور ولطفى الخولى وصلاح منتصر وعبدالمنعم سعيد

يعد يحيى قلاش نقيب الصحفيين الأسبق علامة فارقة فى تاريخ النقابة وفى الصحافة المصرية فعلى مدار عقود حمل راية الدفاع عن حرية الصحافة بوصفها صوت الشعب الذى لا يجب أن يقمع، وقدم فى سبيل ذلك الكثير من التضحيات وأحيل إلى المحاكمة بعد واقعة اقتحام النقابة فى سابقة كانت هى الأولى فى تاريخها، لكنه لا يعد ذلك تضحية بل واجبًا يتحتم عليه تأديته دفاعًا عن المهنة أو كما يقول «كل من يتصدى للعمل العام ويخلص له يعرف أن هذا اختيار وله تبعات على صاحب هذا الاختيار أن يتحمل تبعاته». وكان للمشهد هذا الحوار المهم معه ليحدثنا عن بداياته فى عالم الصحافة وعن معاركه النقابية التى خاضها وقضية حبس الصحفيين، ورأيه فى ملف الإعلام فى الحوار الوطنى وغيرها من القضايا المهمة وفيما يلى نص هذا الحوار:

توجد صحافة عربية متميزة لكنها تستمد قوتها من قوة تمويلها والأدوار المحددة لها

كثير من الصحف العربية أسيرة أدوار وأهداف محددة يضعها مالكها مما يجعلها بلا تأثير وبلا جماهيرية كبيرة

الحوار الوطنى لم يقدر أهمية الملف الإعلامى وقدمه بشكل خجول مما يعطى مؤشرًا إلى مدى جدوى هذا الحوار!

●ما الدافع وراء التحاقك بالصحافة؟

الدافع الأول هو محاولات التعبير عن نفسى وتكوين موقف مما يدور حولي، وجاءت هزيمة ١٩٦٧ ونحن على أعتاب سن المراهقة وماجرى من مراجعات لكل شيء حولنا. كانت هناك تفاصيل كثيرة تصيغ هذه المرحلة فى مجتمع كان يعيش فقط من أجل هدف واحد هو الرد على هذه الهزيمة. وكان هناك مناخ عام يساعد على أن تكتشف نفسك ويجعل المشاركة فى الشأن العام من طبائع الأمور، فتنخرط فى التدريب على أعمال الدفاع المدنى وحمل السلاح وعلى الإسعافات الأولية أو الاستجابة لنداء المشاركة فى إنقاذ محصول القطن بالذهاب للحقول وجمع الأوراق المصابة.

مدرس العربي

وفى خضم كل ذلك تنتقل لمحطات لا تعرف إلى أين تقودك. ففى المرحلة الإعدادية كانت إشادة مدرس العربى بموضوعات التعبير التى أكتبها وحصولى على درجات مرتفعة فى هذا الفرع من اللغة العربية بصفة خاصة، ثم ارتباطى المبكر بمكتبة المدرسة واستعارة الكتب خاصة التاريخية وكتب السيرة الذاتية ووقوفى فى الإذاعة المدرسية خطيبًا بعد استشهاد البطل عبدالمنعم رياض واحتضان الناظر لى تأثرًا رغم أننى كنت طفلًا خجولًا، ثم انتقل أمر الاهتمام بالقراءة من مدرسة «المساعى المشكورة الإعدادية» إلى مكتبة منوف الثانوية والمكتبة العامة بالمدينة التابعة لوزارة الثقافة، وبناء علاقة مع أشهر بائع صحف فى مدينتنا «أبوالحديد» سواء بالشراء أو الاستعارة، ثم الاشتراك فى تجربة خروج أول مجلة مطبوعة عن جماعة الصحافة فى المرحلة الثانوية بمقال بعنوان «علامات استفهام فى مدينة منوف» وفيه نقد لبعض الممارسات وبعض المسؤولين فى نطاق مدينتنا الصغيرة.

صوت حلوان

ثم بعد ذلك كونت جماعة الصحافة بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان، ومن مجلات الحائط التى كانت فى مجملها هجومًا ونقدًا لسياسات الرئيس السادات إلى الصحافة المطبوعة التى انتشرت بالجامعات المصرية فى عقد السبعينيات وشاركت فى إصدار جريدة «صوت حلوان» التى كان يتم طباعتها بمؤسسة الجمهورية ومن هنا بدأت العلاقة الحقيقية مع عالم آخر تكتشف أنك كنت مدفوعًا إليه بمقدمات كثيرة سابقة.

● التقيت بكثير من كبار أساطين الصحافة المصرية خلال مشوارك المهنى الطويل فمن أكثرهم تأثيرًا فى حياتك ولماذا؟

التحقت بالعمل فى جريدة المساء بداية الثمانينات بقسم التحقيقات مع أول مدير تحرير هو الأستاذ رشيد الليثى الذى تبنى واحتوى عددًا من الزملاء الخريجين الجدد وطلاب السنوات النهائية بكلية الإعلام، لكن رؤيتى فى صالة «المساء» لعبدالفتاح الجمل صاحب أول ملحق أدبى فى تاريخ الصحافة المصرية، ومكتشف كثير من المواهب الأدبية من روائيين وشعراء ونقاد وفنانين تشكيليين كانت شيئًا آخر، كنت أشاهد الجمل مشتبكًا مع زواره الذين كانوا يتوافدون عليه بمكتبة بصالة التحرير الشهيرة بجريدة المساء، وكانت جلساته لها مواعيد محددة بمقر النقابة وخلال بعض الأنشطة الثقافية فى حزب التجمع أو أتيليه القاهرة، فاجأنى مرة بسؤال وهو يراقب محاولاتى التعرف عليه وأنا أظهر له فى الأماكن التى يتردد عليها «أنت جاى تشتغل صحفى ليه؟» باغتنى السؤال وحين شرحت له خلفية دوافعى والإشارة إلى انحيازاتى السياسية، كرر سؤاله وكأننى لم أجبه ثم قال حاسمًا «كل إللى بتقوله كويس بس علاقة ده إيه بإن تكون صحفى محترف» وهنا تلقيت منه الدرس الأول «الصحافة مهنة ولها أصول وأنت لازم تكون صنايعى ملم بأصول مهنتك والباقى لاحق ومكمل ويمكن يميزك بس بعدين». وبعدها صارت علاقتى به لصيقة وقريبة وظل ناصحًا لى حتى رحيله.

محمود المراغي

ثم كانت علاقتى بالأستاذ محمود المراغى التى بدأت بمعرفته فى المعسكرات الثقافية لجامعة حلوان عندما كنا نستضيفه للدفاع عن الاقتصاد المصرى بعد إعلان السادات عن سياسة الانفتاح الاقتصادى وساندنى وزملاء آخرين عند بداية التحاقنا بالمهنة وكان أحيانًا يقترح علىَّ أفكار بعض الموضوعات بل وتعريفى بالمصادر رغم أننى كنت لا أعمل بمؤسسة روزاليوسف التى كان مديرًا لتحريرها. ولا أنسى الكاتب والمفكر الكبير محمد عودة الذى ساندنى كلما استطاع وأخذ بيد عدد كبير من جيلنا وأدخلنا عوالم وعرفنا على قامات فى كل المجالات وزرع فينا الأمل والتفاؤل والإيمان بأن التاريخ يتحرك للأمام وأن المستقبل ينتصر.

هيكل

وبعد ارتباطى بالعمل النقابى كان لكامل زهيرى وجلال عارف مكانة خاصة عندى ومنهما عرفت معنى وقيمة الكيان النقابي، ثم علاقتى الممتدة مع الأستاذ هيكل بعد مخاطبتى له دون سابق لقاء عام ١٩٩٥ أثناء أزمة القانون ٩٣ أننا فى انتظار كلمته، وفوجئت به يتصل بى ويعطينى كلمته وطلب أن ألقيها أمام اجتماع الجمعية العمومية وكانت جلساتى معه سواء فى مكتبه أو منزله الريفى ببرقاش متعة كبيرة عن أحوال المهنة واستفدت من خبراته الإدارية وشخصيته الدقيقة والمنظمة فى عملى النقابي.

●قضيت عمرًا طويلًا فى العمل الصحفى والنقابى فكيف تغير واقع الصحافة المصرية من وجهة نظرك منذ اشتغالك بالصحافة وحتى الآن؟ وهل هذا التغيير للأفضل أم للأسوأ؟

– الصحافة كانت مهنة ملهمة ومؤثرة ولها رسالة ودور ومهما كانت الصعاب أو التحديات التى كانت تواجهها، إلا أن دورها لم يغب وظلت المدارس الصحفية تتنافس وظل القارئ بكل تنوعه يجد ما يعبّر عنه وظلت الجريدة ضيفًا يوميًا على كل بيت، بل امتد تأثير الصحافة المصرية إلى خارج الحدود كأحد أدوات القوة الناعمة، وكذلك على مستوى الصناعة فكل الصحف والمجلات العربية أسسها صحفيون كبار من مصر وقامت واستمرت على أكتاف زملائنا الذين ظلوا يعملون بها لسنوات.

الآن جرت فى النهر مياه كثيرة فقد تراجع الدور المصرى وتراجع تأثير الصحافة التى فقدت هامش الحرية الذى كان متاحًا وبدونه تتراجع المهنة وتفقد مصداقيتها وتفقد ثقة القارئ، وتراجع التوزيع إلى معدلات مذهلة وغير مسبوقة، وهذا خطر كبير لأن الإعلام المؤثر بمثابة جيش عظيم يجب أن يؤدى دوره دائمًا لخدمة الوطن.

●يشهد تاريخك النقابى بنضالك الكبير من أجل حرية الصحافة وأنت خضت معارك جمة وكبيرة فى هذا الصدد كلفتك الكثير الخسائر فحدثنا عن هذا الجانب فى حياتك المهنية؟

– أنا من جيل انتمى للمهنة والنقابة معًا وقبل أن أكون عضوًا بمجلس النقابة كنت من ضمن كثيرين من أعضاء الجمعية العمومية لهم نشاط نقابى وعندما خضت أول تجربة انتخابات عضوية مجلس النقابة كان ذلك بضغط النقابى الراحل الأستاذ محمود المراغى والأستاذ جلال عارف الذى قرر عدم خوض انتخابات عضوية المجلس بعد أن استمر لثلاث دورات، وكانت أول معركة لى بعد دخولى مجلس النقابة هى مواجهة أزمة القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ والتى امتدت لمدة عام، كانت هذه المعركة كبيرة ودرسًا مهمًا وبعدها توالت المواقف والجهود خاصة بعد أن توليت موقع سكرتير عام النقابة على مدى ثمان سنوات متصلة وهى أطول مدة يقضيها أحد فى هذا الموقع وخلال هذه الفترة وقع على عاتقى النقل من مقر النقابة القديم إلى مقر مؤقت ثم العودة إلى المبنى الحالي، وما استتبع ذلك من تفاصيل لتطوير العمل الإدارى من اليدوى والورقى إلى الإلكترونى والآلى وإعادة بناء جهاز إدارى يناسب هذا التطوير.. وفى هذا الأمر تفاصيل كثيرة جدًا.

وأيضًا كان للعمل النقابى دور مهم ليس فقط دفاعًا عن الحريات ورفض ترسانة القوانين المكبلة للمهنة، بل دفاعًا أيضًا عن حقوق الصحفيين وعن علاقات عمل متكافئة. وكل من يخلص للعمل النقابى ولا يعتبره مجرد ركوبة للمطامع الشخصية أو المناصب لاتكون الحسبة هى خشية أى خسارة، لأنك فى الحقيقة تكسب كل يوم عندما ترى بعض ما حققت وبعض ماكنت تتمناه لهذا المكان ولتحقيق مصالح زملاء وثقوا بك وشعور بالاحترام والتقدير لكثيرين سبقوك وأعطوا دون أن ينتظروا .. حتى ما جرى معى بعد اقتحام النقابة وإحالتى للمحاكمة فى سابقة كانت هى الأولى فى تاريخ النقابة لم أعتبره تضحية بل كان دفاعى عن هذا الكيان النقابى ورفضى العدوان عليه واجبًا أؤديه. وكل من يتصدى للعمل العام ويخلص له يعرف ان هذا اختيار وله تبعات على صاحب هذا الاختيار أن يتحمل تبعاته.

الصحف القومية جيش لا يجب أن نتركه حتى ينهار ومبارك كان يدرك هذه الحقيقة

تقليص هامش الحرية وفقدان المصداقية أدى إلى انهيار توزيع الصحف القومية وهى تشهد أزمة غير مسبوقة

انتخابات نقابة الصحفيين الأخيرة بعثت برسالة أتمنى أن تكون قد وصلت فتأميم النقابة على مدى ست سنوات لم يكن حلا

●متى ينتهى ملف الصحفيين المحبوسين من وجهة نظرك.

– عندما يكون هناك إيمان بدور الصحافة باعتبارها مهنة رأى وعندما نؤمن أن حرية التعبير وفى القلب منها حرية الصحافة هى إحدى الحريات العامة، وعندما نجد صدى لمبادئ المحكمة الدستورية ومحكمة النقض عندما قررت أن المصلحة العامة تقتضى عدم تكبيل الصحافة وأن الشطط فى إبداء الآراء ليس مبررًا للتقييد أو العقاب. وحتى يحدث ذلك لا يضيع حق وراءه مطالب أو محارب وهذا دور نقابى بامتياز وكذلك دور كل القوى الحية فى المجتمع.

● لأول مرة يفوز بمنصب نقيب الصحفيين مرشح من خارج المؤسسات الصحفية الكبرى فى الدورة الأخيرة، فكيف قرأت هذا الحدث وهل له دلالات معينة من وجهة نظرك؟

– هذه الانتخابات بعثت برسالة أتمنى أن تكون قد وصلت، فتأميم النقابة على مدى ست سنوات لم يكن حلًا والرغبة فى التغيير كانت جامحة.. وبعد مرور أكثر من عام على هذه الانتخابات النتيجة تقول إن بعض هوامش الحرية مفيدة والاستجابة لاختيارات الناس لا يشكل خطرًا وما نكسبه من ذلك أكثر بكثير من عواقب القوة الباطشة.

● وصفت فى إحدى مقالاتك حضور الملف الصحفى فى «الحوار الوطني» بأنه كان خجولًا... لماذا؟

– لأننى أعتقد أن ملف الحريات الصحفية والإعلام هو الرافعة الحقيقية لأى حوار حقيقى ومنتج، بل هو المدخل لاختبار جديته وعندما وجدت هذا الملف ملحقًا بملفات أخرى وعلى استحياء اعتبرته طريقة خجولة ولا تقدر أهمية هذا الملف بل وتعطيك مؤشرًا إلى مدى جدوى هذا الحوار!.

● يبدو بشكل واضح أن هناك اتجاه لإغلاق الصحف القومية بوقف إرفادها بدماء جديدة فشاهدنا القسم الثقافى فى وكالة الشرق الأوسط يغلق بسبب خروج جميع من فيه إلى سن التقاعد وفى مؤسسات أخرى أصغر تجاوز الصحفيون الموجودون بها الخمسين فكيف ترى هذه المسألة؟

– الصحافة القومية تشهد أزمة غير مسبوقة ومستقبلها يكتنفه الغموض وهى أزمة مركبة على مستوى الصناعة والمستوى الاقتصادى والمهنى وفقدان المصداقية الذى استتبعه انهيار التوزيع، وعندما تقلص هامش الحرية الذى كانت تتنفس به وتنافس بعضها البعض من خلاله تركت وحدها تواجه مصيرها، ولم يصبح أمامها من خيار إلا تنفيذ التعليمات التى تتلقاها، ويزيد من الإشكالية أن الهيئات والمجلس الأعلى التى تتولى شؤون الصحافة والإعلام التى قصدها الدستور أن تكون مستقلة فإذا بها تتحول إلى أدوات تابعة للسلطة التنفيذية وأداة رقابة وفرض قيود!.

أتمنى أن يفتح الحوار الذى تقوده النقابة من خلال المؤتمر العام الذى تنظمه حاليًا ثغرة فى جدار الصمت، حوار مستقبل الصحافة القومية التى مازالت تملك من الأصول والقوى البشرية ما يجعلها تؤدى دورها ورسالتها من أجل المصلحة العامة.. فهذه المؤسسات جيش لايجب أن نتركه حتى ينهار وكان مبارك يدرك هذه الحقيقة وكلما كان يدور الحديث حول بيع المؤسسات الصحفية أو بعضها كما كانت تخطط جماعة جمال مبارك وبطرس غالى كان مبارك يؤكد لجلال عارف نقيب الصحفيين وقتها أنه لا بيع للمؤسسات الصحفية.

●ما سبب تراجع مبيعات الصحف الورقية؟

– كما أشرت أن الأساس سقف الحرية الذى هو وحده الكفيل بإعادة الحياة لهذه الصحف. ومستقبل الصحف القومية لا يرتبط كما يردد البعض بتغول الصحافة الإلكترونية عليها لأن الأزمة ليست فى نوع الوسيلة بل فى محتوى ومضمون هذه الوسيلة.

●هل تراجعت المدرسة المصرية فى الصحافة لصالح مدارس أخرى؟

– قوة الصحافة المصرية كانت تكمن فى قوة تأثيرها وامتداد جذور نشأتها لتاريخ طويل مضى، وكنا نفخر أن عمر الصحافة المصرية أكبر من أعمار بعض الدول.. وقوتها أيضًا فى تنوعها وقدرتها على الحياة بكل الوسائل الممكنة فقد صمدت أمام ألاعيب القصر الملكى وبطش الاحتلال الإنجليزى والمندوب السامى البريطانى وحسابات الأحزاب المتصارعة ودخلت فى معارك كبرى مساندة لما أحدثته ثورة يوليو من تغييرات، وما واجهه الوطن من معارك كبرى رغم ما تم فرضه عليها من قيود فى بعض الأحيان .. والصحافة المصرية فى المجمل تتسم بالحيوية والحياة وقوة مقالات الرأى ومكانة كتابها من صحفيين كبار وأدباء وشعراء ومثقفين وفنانين ومفكرين ونجوم فى المجالات كافة، وتدفق الأخبار ومعرفة طبيعة القارئ الذى تتوجه إليه.

وكانت الصحافة المصرية تملك داخلها مدارس صحفية متنافسة فى الفكر والتوجه السياسى وطبيعة الجمهور الذى تستهدفه كل صحيفة. الآن الحالة الصحفية فى مصر متراجعة لأسباب كثيرة أشرنا إليها لكن لا يشغل فراغ الصحافة المصرية أحد رغم وجود صحافة عربية متميزة لكنها تستمد قوتها من قوة تمويلها والأدوار المحددة لها ومن طبيعة خاصة جعلتها تعيش بالخارج فى الصناعة والمقر لكنها فى الروح هى أسيرة أدوار وأهداف محددة يضعها مالكها كما تتسم بقارئ افتراضى وهذه إشكالية تجعلها محدودة التأثير والجماهيرية.

●لنقابة الصحفيين موقف واضح وبارز من مسألة التطبيع مع الكيان الصهيوني وقد كان لك دور فى ترسيخ هذه المسألة فحدثنا عن جهودك فى هذا الصدد بالتأكيد على حظر التعامل مع الكيان؟

– نقابة الصحفيين كانت فى طليعة النقابات المهنية والعمالية التى بادرت باتخاذ أول قرار بحظر التطبيع النقابى مع الكيان الصهيونى عام ١٩٨٠م وكان كامل زهيرى نقيبًا، وبعد ذلك تبعتها النقابات الأخرى وظلت الجمعيات العمومية للصحفيين منذ هذا التاريخ وحتى آخر جمعية عمومية فى مارس من العام الماضى تؤكد عليه، وخلال هذه المدة التى تزيد عن نصف عمر النقابة ظلت الجمعيات العمومية تتمسك بالقرار وتتشدد فيه وتؤكد على محاسبة المخالفين بكل الوسائل وباتخاذ الإجراءات التأديبية.

لقد فشلت كل محاولات التطبيع تحت زعم المهنية وشعار اعرف عدوك وتحت مزاعم المتغيرات السياسية ومحاولات جماعة كوبنهاجن ونظرية اختراق جماعة أنصار السلام فى إسرائيل ثم أوسلو-١ وأوسلو-٢ وغيرها من محاولات تصدت لها النقابة والجماعة الصحفية كما تصدوا لكل الشخصيات التى تصورت قدرتها على قيادة هذا الاختراق من بين الصحفيين بل ان قوة موقف الجمعية العمومية أجبر مجلس النقابة أن يحيل أسماء صحيفة كبيرة للتأديب ومن بينهم أنيس منصور ولطفى الخولى وصلاح منتصر وعبدالمنعم سعيد.

هذا الملف يؤكد مدى أهمية القضية الفلسطينية عند الشعب المصرى فهى قضية مصير وأمن قومى ووجدان، فكل مصرى حفظ هذه القضية بين ضلوعه لذلك فشل التطبيع على المستوى الشعبى فى مصر.

●فى الأخير نريد تعليقا منكم على طوفان الأقصى إعلاميًا وسياسيًا والسيناريوهات المحتملة لنهاية هذه المعركة.

– عملية طوفان الأقصى كانت كاشفة لأمور كثيرة من بينها الوضع العربى الرسمى وأوهام التطبيع. والإعلام المصرى والعربى مكبل وبالتالى هو فى مجمله يعبر عن المواقف الرسمية ولا يعبر عما يجيش بصدور الشعوب التى لاحول لها ولا قوة والذين يشاهدون ما يتعرض له الشعب الفلسطينى من مجازر وحرب تجويع وابادة ولا حول لهم ولا قوة ..

لكن الشعوب تختزن وسيكون لهذه الحرب تداعياتها على مستقبل المنطقة وعلى مصير هذه الأنظمة. ربما تكون قناة الجزيرة هى الاختراق الوحيد لهذا المشهد الإعلامى العربى فقد دفعت ثمنًا باهظًا من أرواح وتضحيات مراسليها وكشفت الأعداد غير المسبوقة من شهداء الصحفيين والإعلاميين الذى لم نشهد مثيلا له فى أى حروب أخرى فى العالم وهذه واحدة من تجليات أبناء الشعب الفلسطينى الذين يعملون فى هذا المجال والذين صمموا أن يؤدوا أدوارهم ويتعرضون للموت ليرى العالم بعضا من الحقيقة التى يتغافل عنها.

وهذه الحرب كشفت أيضا انحياز وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل بل ورأينا القيود على وسائل التواصل الاجتماعي.. أوهام حرية الإعلام الغربى تعرت والمعايير المزدوجة كانت فاضحة وغض الطرف عن جرائم إسرائيل فضيحة.

وفى العموم لا يستطيع لأى أحد منا أن يقرر لشعب يقاوم ليزيح المحتل الغاصب لأرضه ووطنه ما الذى يجب أن يفعله والمقاومة فى أى مكان فى العالم وفى كل التجارب السابقة لا تحكمها قوانين ولا قواعد المكسب والخسارة أو موازين القوى بل تحددها إرادة هذه الشعوب فى التحرر .. والحقيقة التى يغفلها البعض عندنا عن طبيعة هذا الصراع مع الكيان الصهيونى وطبيعة هذا المشروع الاستعماري، هو أنه بلا مبالغة صراع وجود بمعنى أن نكون أو يكونوا، وهذا الأمر بطبيعته معقد ويحتاج نفسا طويلا ويحتاج قبل كل ذلك مشروعا نهضويا عربيا يدرك طبيعة استحالة التعايش مع المشروع الصهيوني.

حوار - د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة -الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

أَذَلَّ الحِرْصُ والطَّمَعُ الرِّقَابَا
وقد يَعفو الكريمُ، إذا استَرَابَا
إذا اتَّضَحَ الصَّوابُ فلا تَدَعْهُ
فإنَّكَ قَلَّما ذُقْتَ الصَّوابَا
وَجَدْتَ لَهُ على اللَّهَوَاتِ بَرْداً،
كَبَرْدِ الماءِ حِينَ صَفا وَطابَا

(أبو العتاهية)

المطران جورج شيحان يتحدث لـ «المشهد» عن الوجود المارونى فى مصر:

لبنان كان أحد أهم أسباب انفتاح مصر الثقافى

المطران جورج شيحان، رئيس أساقفة أبرشية القاهرة المارونية فى مصر والسودان، والزائر الرسولى على شمال أفريقيا.

ولد فى ٣١ مايو ١٩٥٣ فى حارة صخر – جونيه – لبنان. التحق بالإكليريكية البطريركية المارونية فى غزير بلبنان من سنة ١٩٦٧-١٩٧٩م ، حصل على جائزة الفلسفة واللاهوت من جامعة الروح القدس بالكاسليك فى لبنان، وسيم كاهناً فى ١٢ أغسطس ١٩٧٩ على يد المطران شكرالله حرب فى الكنيسة الإكليريكية البطريركية فى غدير.

خدم المطران شيحان فى رعية سيدة المعونات فى حارة صخر عام ١٩٧٩-١٩٩٧، وفى رعية مار نهرامن عام ١٩٧٩-١٩٩٧، وفى رعية مار دوميط عام ١٩٧٩-١٩٩٨، و تخصص فى التربية المسيحية والشؤون الرعوية فى الجامعة الكاثوليكية فى فرنسا، فى يونيو ١٩٩٧، والرسالة فى عمان بالأردن، وقام بتأسيس أول رعية للقديس مار شربل المارونية عام ٢٠٠٣، و كان أسقفاً على عمان، وفى عام ٢٠١٢ عينه البطريرك مار نصرالله صفير مدبرا بطريركيا على أبرشية حيفا والأراضى المقدسة ، فى ١٦ يونيو ٢٠١٢ وبموجب قرار المجمع المقدس لأساقفة الكنيسة المارونية برئاسة بطريرك أنطاكية المارونى بشارة بطرس الراعي، تم انتخاب المطران جورج مطراناً للقاهرة.

فى ٢٨ يوليو ٢٠١٢ سيم أسقفياً على بطريركية بكركى على يد البطريرك الكاردينال مار بشارة الراعى ، و فى ١٣ يناير ٢٠١٤ عينه البابا فرنسيس زائرا رسوليا للموارنة فى بلدان شمال أفريقيا خارج منطقته الأسقفية ، وهو يعتبر الأسقف السابع على أبرشية القاهرة المارونية. وأصدر المركز اللبنانى المارونى للثقافة والإعلام فى القاهرة كتاب "أول كنيسة مارونية فى مصر"، من تأليفه.

وفى حوار مع المشهد، تحدث المطران جورج شيحان عن دراسته وعلاقته بمصر، ونشوء الطائفة المارونية فى لبنان، ووجود الموارنة، وكيفية انتشار الكنائس المارونية فى مصر، والعلاقة بين الثقافتين والشعبين المصرى واللبناني، وهذا نص الحوار:

لبنان ضخت دماء جديدة فى شرايين الثقافة المصرية على مدى قرنين ولم تبخل مصر فى دعم لبنان

• متى نشأت الطائفة المارونية فى لبنان وكيف وصلت إلى مصر؟

– تأخذ الكنيسة المارونية اسمها من مؤسسها القديس مارون الناسك الذى عاش على جبل بالقرب من أفاميا فى سوريا الحالية فى القرن الرابع الميلادي. ومن بعدها توجه الراهب السريانى يوحنا مارون برفقة عدد من أتباعه إلى جبل لبنان لتأسيس نواة الكنيسة المارونية فى لبنان، وفى سنة ٤٥٢م أنشأ تلاميذه ديراً بالقرب من قبره واتبعوا بطريرك أنطاكية. ثم انتقلت الطائفة المارونية إلى منطقة داخلية أكثر فى لبنان.

فى القرن السابع، كان أول بطريرك مارونى للكنيسة هو مار يوحنا مارون، الذى عاش فى كفرحى (البترون)، وأسس هناك أول بطريركية مارونية سنة ٦٨٥.و تم الاعتراف بالموارنة كطائفة دينية. وتعتبر الطائفة المارونية إحدى الطوائف التابعة للكنيسة الكاثوليكية.

الطائفة المارونية فى مصر من الطوائف المنتشرة التى تتبع الكنيسة الكاثوليكية برئاسة بابا الفاتيكان، ولها ٦ أبرشيات فى مصر فى عدة محافظات، و يقع المقر الرئيسى للكنيسة المارونية فى بكركى بلبنان، ولها بطريركها وأساقفتها، ويحتل الموارنة مساحة كبيرة ضمن العائلات المسيحية الموجودة حاليا فى مصر، والبطريرك الحالى للكنيسة المارونية هو البطريرك بشارة الراعي، وهو البطريرك الـ ٧٧، ولهم كنائسهم الخاصة ومؤسساتهم التعليمية والعلاجية مثل المستشفيات، وغيرها من الخدمات المقدمة للعائلة المارونية وللمجتمع المصرى والعربى والشرق الأوسط.

ويبدأ تاريخ وجود الموارنة فى مصر من عام ١٧٤٥، حيث كرّس الراهب الحلبى (المريمي) موسى هيلانة أول كنيسة مارونية فى دمياط، وهى كنيسة البارجة، وهى أول كنيسة مارونية فى مصر وإفريقيا. ومنذ بداية عام ١٧٠٠، كانت هناك هجرة من لبنان إلى مصر، و تم تعيين أول أسقف رسمى للكنيسة المارونية فى مصر، النائب البطريركى المطران يوسف دريان، عام ١٩٠٥.

وفى مصر ستة أبرشيات للكنيسة المارونية: سانت تريز فى الإسكندرية تأسست عام ١٨٦٧ ، وسانت تريز فى بورسعيد تأسست عام ١٨٥٩، ومار جرجس فى شبرا تأسست عام ١٨٨١، وكاتدرائية مار يوسف – المطرانية المارونية بالظاهر ، تأسست عام ١٩٠٨، ومار مارون بمصر الجديدة عام ١٩١٦، وسانت تريز فى الإسماعيلية عام ١٩٣٩.

وعن وجودهم فى العالم العربي، أكد أن أكبر تجمع للموارنة موجود فى لبنان، وهناك موارنة فى الأردن والأراضى المقدسة و سوريا ومصر ، كما توجد كنيسة مارونية فى الخرطوم. ويبلغ عدد أبرشيات الكنيسة المارونية فى العالم ٢٧ أبرشية.

ومن أنظمة الكنيسة وقوانينها وشروط الانضمام إليها، أن تكون الزوجة منتمية إلى الطائفة المارونية التى ينتمى إليها زوجها، ويتم زواجهما فى الكنيسة المارونية، ويعمّد أولادهما بحسب طقوس الكنيسة المارونية، و المجمع المقدس للكنيسة المارونية هو السلطة التشريعية فى الكنيسة المارونية، ويمارس أيضا السلطة التنفيذية فى عدد من القضايا، وتوكل إليه مهام بالغة الأهمية، مثل انتخاب البطريرك وانتخاب أساقفة الأبرشيات.

لم تعرف الكنيسة المارونية فى تاريخها سينودس أو مجمعا مقدسا بالمعنى الشائع للكلمة، كما كان منتشرا فى الكنائس الأخرى، قبل المجمع اللبنانى الذى انعقد سنة ١٧٣٦، كان يتبع النظام الداخلى للكنائس الشرقية الكاثوليكية، وخرج منه عدد من اللجان والمؤسسات الفرعية، ولعل أشهرها مجلس الأساقفة الموارنة.

و منحنى لبابا فرنسيس صفة زائر رسولى إلى شمال أفريقيا لمتابعة أحوال بعض أبنائنا الموارنة فى دول شمال أفريقيا مثل الجزائر و المغرب وتونس وليبيا ، و هناك العديد من أبناء الطائفة المارونية الذين هم رواد ومؤسسى وأصحاب النهضة الثقافية والفكرية والفنية فى مصر والعالم العربى ، وجميعهم أسماء معروفة، وأبرزهم: أنطون الجميل، آسيا داغر، مى زيادة، يوسف الخازن، لور دكاش، سليمان البستاني، داود بركات، فؤاد الشمالى «أول وزير مسيحى فى الخلافة العثمانية» – كريم تابت» مستشار الملك فاروق» ، اسكندر الشلفون «مؤسس معهد الموسيقى» ، مارون وسليم نقاش من رواد المسرح العربي، وغيرهم الكثير.

• من خلال كتاب الكنيسة المارونية الأولى فى مصر كيف انتشرت الكنائس المارونية فى ربوع مصر؟

– يتناول الكتاب قصة أول كنيسة مارونية تأسست فى مصر، وهى كنيسة «البارجة» التى كرّسها الأب موسى هيلانه عام ١٧٤٥ فى مدينة دمياط. ويتضمن الكتاب أيضًا حياة الأب هيلانه، وكتاباته، وأيقونته النادرة، وجدارية الكنيسة التذكارية، وآباء الرهبانية المارونية الحلبية «المارونية المريمية حاليًا» ، الذين نجحوا فى إدارة أبرشية دمياط.

يحتوى الكتاب على خمسة عشر فصلاً، وغلافه عبارة عن لوحة من تصميم الفنانة التشكيلية اللبنانية إيمان خوري، جاء فى مقدمته ١١٠ سنوات هو عمر الكنيسة البارجة المارونية فى مصر، ولعله أقصر عمر للكنيسة المارونية، ليس فى مصر فقط، بل فى المجال البطريركى أيضا، ١١٠ عاماً ، واثنا عشر أبًا من الرهبانية الحلبية المارونية، تولوا رعاية أبرشية دمياط، بدءًا من الأب موسى هيلانه حتى آخرهم الأب بطرس غبالي، وكذلك اثنا عشر أبا خدموا الرسالة المارونية، وخدموا الرعية، وبذلوا حياتهم من أجل الآخرين، وليس فقط الموارنة و لأبناء الطوائف الكاثوليكية، بل لجميع المسيحيين خدمة للدين، ولإخواننا المسلمين خدمة للإنسانية.

كان آباؤنا الموارنة يقدمون يد العون للجميع فى أوقات الشدائد، آخذين بعين الاعتبار كلمات السيد المسيح فى إنجيل مرقس ٩/ ٣٥ : « من أراد أن يكون أول القوم فليكن آخرهم جميعًا وخادمهم» ،

وهنا نقدم بعضاً من حياتهم لأبناء كنيستنا المارونية فى مصر ولبنان وسائر بلاد الانتشار الماروني، كما جاء فى الرؤيا المقدسة فى (الرسالة إلى العبرانيين ١٣-٧) ، «واعتبروا بما انتهت اليه سيرتهم واقتدوا بايمانهم» .

• من خلال العلاقة بين الثقافتين والشعبين المصرى واللبناني، ما هو تأثيرها على استمرار الوجود اللبنانى فى مصر وإسهاماته فى الحياة والثقافة المصرية؟

– تتمتع العلاقة المصرية اللبنانية بزخم متجذر فى أعماق التاريخ منذ عصر قدماء المصريين والفينيقيين، ودعونى أستشهد بمقولة للأديب المصرى الكبير طه حسين، وصف فيها واقع العلاقة بين البلدين فى المجال الثقافي، ووصفت بدقة واقع النشر والكتابة فى عالمنا العربى آنذاك : «القاهرة تكتب وبيروت تطبع وبغداد تقرأ»، مما أكد ثراء الثقافة المصرية وريادتها.

فقوة صوت لبنان الذى لا يزال يتردد صداه فى محيطه العربى بقوته الناعمة؛ إنه يؤثر بثقافته على جميع المتحدثين عن الثقافة المعاكسة، وشددت على أن العلاقة بين البلدين علاقة انسجام تكاملية مبنية على الترابط الأخوى الوثيق، خالية من أى منافسة، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة جدا، ولا يمكننا أن ننكر أن الثقافة فى لبنان لها مصادر عديدة وتعتبر ثروة لبنان الاستثمارية، وأن لبنان يسعى باستمرار للاستفادة منها وتعزيزها، والعمل على نشر وإيصال المفاهيم الثقافية عالمياً فى مجالات الفن و الإبداع والأدب، و أن تصبح فى متناول الدول الشقيقة؛ والتى ألقت بظلالها على مصر. ولم يبخل لبنان فى تعزيز مجال الصحافة والأدب والفنون فى مصر. بل كان لبنان أحد أهم أسباب انفتاح مصر الثقافي.

واستطاع لبنان أن يضخ دماء جديدة فى شرايين الثقافة المصرية، ولا يزال تأثيرها قائماً حتى يومنا هذا. ولم تبخل مصر فى دعم لبنان دوليا منذ الاستقلال، إذ كانت القاهرة أول من اعترف باستقلال بيروت فى الأربعينيات، وليس هذا فحسب، بل شكلت مصر مركزًا هناك؛ وللتفاوض على استقلال لبنان، استضافت اجتماعا أسفر عن صياغة "الميثاق الوطني" الذى أسس نظام الحكم فى لبنان فى فترة ما بعد انتهاء الانتداب الفرنسي، ولذلك فإن العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين تقوم على مبدأ الاحترام المتبادل والتشاور المستمر وتنسيق الرؤى والمواقف فى كافة المجالات ذات الاهتمام المشترك، والعمل على تطوير هذه العلاقات بشكل دائم ومستمر وزيادة أواصر الأخوة بين البلدين.

• لماذا المركز الثقافى اللبنانى المارونى فى مصر، وهل هناك خطط مستقبلية لنشره فى محافظات أو دول أخرى؟

– انبثقت فكرة المركز الثقافى اللبنانى المارونى بهدف خلق مساحة آمنة للحوار الحر بين جميع الطوائف للمشاركة دون أى تمييز، بهدف تنمية وتطوير المجتمع فى إطار احترام وقبول الآخر وخلق مساحة لحرية التعبير، و أن نكون منارة ثقافية تعمل على ترسيخ هذه المعتقدات لدي المشاركين، ونقل تجربتهم للشباب لاحقاً من خلال مجموعة من الأنشطة والمبادرات، مما يدعمهم فكريا ونفسيا وينير لهم الطريق للمشاركة الإيجابية فى المجتمع واستخدام طاقتهم الهائلة فى التنمية.

العلاقة المصرية اللبنانية تتمتع بزخم متجذر فى أعماق التاريخ منذ عصر قدماء المصريين والفينيقيين

الموارنة لهم مساحة كبيرة ضمن العائلات المسيحية الموجودة فى مصر

حوار- مادونا شوقى

هل تواجه الكنائس الغربية والشرقية انقساماً بسبب زواج المثليين؟

الكنيسة الأرثوذكسية: نرفض زواج المثليين وكذلك الشراكة مع الكنائس التى تسمح به

بالرغم من رفض الكنائس الشرقية للمثلية الجنسية، إلا أن بعض الطوائف المسيحية فى الكنائس الغربية تسمح وتبارك زواج المثليين، وظهر ذلك بعد أن بارك كاهن فى كنيسة بروتستانتية بإنجلترا زواج كاهنتين تعملان فى نفس الكنيسة.

وكان البابا تواضروس قد هاجم المثلية الجنسية فى كثير من عظاته ، وقال إنها ليست «حرية» وتتنافى مع الحق الإلهي، وسبق أن أضاف المجمع العقائدى للكنيسة الكاثوليكية أن زواج الرجل بالمرأة هو سر مقدس، فلا يمكن أن تمتد البركة إلى زواج المثليين ، وعلق بابا الفاتيكان أن الكنيسة لا تزال تعتبر العلاقات المثلية «خطيئة موضوعيا» ولن تعترف بزواج المثليين، بينما سمحت الكنيسة اللوثرية فى السويد بزواج المثليين ولم تعارضه، ولكن امتنعت الكنيسة اللوثرية فى الشرق عن مباركة هذا الزواج ، وبدأ الأساقفة فى عدد من البلدان، بما فى ذلك ألمانيا وبلجيكا ، فى السماح للكهنة بمباركة زواج المثليين، فى ظل غياب موقف سلطات الكنيسة.

وتظهر الإدانة فى العديد من آيات فى الكتاب المقدس، وفى العهد القديم تحديداً هناك إدانة لمن يمارسون المثلية الجنسية، ويحدد سفر اللاويين عقوبة الرجم للمثليين.

وعلق الدكتور القس مارتيروس جمال، مدرس الجغرافيا التاريخية الكتابية فى الكليات الإكليريكية قائلاً: الكتاب المقدس والمثلية الجنسية بالطبع، لم يعد مصطلح المثلية الجنسية Homosexuality الآن مخفيًا عن الجميع ، جاء ذلك من كثافة الأخبار والسجالات حول الأمر، وجهود أنصار هذا الاتجاه فى الترويج له ومحاولة إضفاء الشرعية على وجوده. والغريب محاولتهم إيجاد أساس ومرجع للمثلية الجنسية فى الكتاب المقدس !!

• هل هذا صحيح؟ أم أنه افتراء محض؟

الحقيقة أن الكتاب المقدس لم يخاطب المثلية الجنسية إلا بالإدانة والرفض، وكانت وصيته هى منع هذا السلوك وتحريمه، ويقول سفر اللاويين (٢٢ : ١٨) بشكل قاطع: « لا تضاجع رجل، مضاجعة امرأة، بل ان لاويين (١٣:٢٠) يوصف خطية المثلية الجنسية بانها «رجس» وان من يأتى هذا الفعل تكون عقوبته القتل ، وهذا الاستنكار والرفض للمثلية الجنسية الذى نجده فى العهد القديم يستمر أيضًا فى العهد الجديد، ففى الإصحاح الأول من رسالة القديس بولس إلى روميه، والتى كتبها من مدينة كورنثوس، تلك المدينة العالمية، التى تموج بمختلف الجنسيات والثقافات، والتى انتشرت فيها المثلية الجنسية بصورة مروعة، لم يتمكن القديس بولس من تجاهلها أو التغاضى عنها عندما كتب رسالة روميه، فيقول «لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان، لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الأنثى الطبيعي، اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض، فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور، ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق ، وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم، أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو ١: ٢٦- ٢٨)، وفى الرسالة إلى كورنثوش نفسها، وخوفا على مؤمنيها من هذه الخطية المميتة، يحذرهم قائلا «لا تضلوا، لازناه، ولاعبدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، يرثون ملكوت الله» (اكو٦: ٩-١٠) ، هذه مجرد إشارة بسيطة إلى موقف الكتاب المقدس من المثلية الجنسية.

موقف الكنيسة من زواج المثليين

يضيف القس مارتيروس جمال ، وبناء على الأدلة الكتابية السابقة، يتبلور موقف الكنيسة من زواج المثليين، وهو الرفض التام وعدم الشراكة مع الكنائس التى تسمح به ، لماذا، لأن الكتاب المقدس وكل آباء الكنيسة لم يشيروا إلا إلى الزواج الطبيعى بين رجل وامرأة، وبحسب قول المسيح نفسه فى متى (١٩: ٨) «من البدء لم يكن هكذا». لقد كان قصد الله منذ البداية أن يخلق جنسين للزواج،و قد أكد المسيح على هذا فى العهد الجديد بقوله: «أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان» (متى٤:١٩).

موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من المثلية

تمثل رأى الكنيسة القبطية فيما يتعلق بالمثلية الجنسية وزواج المثليين فى قرارات مجمعها المقدس ففى عام ٢٠٠٣م أصدر المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بيانًا أدان فيه ورفض هذا الأمر، وفى عام ٢٠٢٤م جدد المجمع المقدس تأكيد رفضه لكافة أشكال المثلية الجنسية فى البيان التالي: «تُؤكد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على موقفها الثابت برفض كافة أشكال العلاقات المثلية الجنسية، وذلك لمخالفتها الكتاب المقدس والقانون الذى خلق الله به الإنسان ذكرًا وأنثى، وتعتبر أنٍ أى مباركة أيًّا كان نوعها لمثل هذه العلاقات، مباركةً للخطية، وهذا أمر مرفوض».

• هل يمكن للكنيسة القبطية الأرثوذكسية الاعتراف بزواج المثليين؟

يختتم القس مارتيروس جمال حديثه قائلا: إن تاريخ الكنيسة القبطية يتلخص فى دفاعها عن الإيمان المسيحى كما جاء فى الكتاب المقدس، الوارد من الآباء، والموضح فى صلواتها. والمثلية الجنسية ليست استثناء من هذا ، لذلك لا يمكن للكنيسة القبطية أن تعترف بمثل هذا الزواج الذى يخالف كل المعايير الكتابية والآبائية والطقوسية الليتورجية والأخلاقية والعقلانية. حتى لو تم تأسيسها بشكل قانونى فى العديد من دول العالم، أو حصلت على موافقة بعض الطوائف التى خرجت عن المبادئ المسيحية والكتابية.

موقف الكنيسة الكاثوليكية

على صعيد الكنائس الكاثوليكية علق الأنبا باخوم، النائب البطريركى لشؤون الإيبارشيّة البطريركية للأقباط الكاثوليك، ومسؤول اللجنة الأسقفية للإعلام بالكنيسة الكاثوليكية بمصر بالقول: موقف المسيحية، وخاصة الكنيسة الكاثوليكية، من زواج المثليين يعتمد على تعاليمها التقليدية ، وتؤكد الكاثوليكية على أن الزواج هو اتحاد بين رجل وامرأة، يهدف إلى فتح باب الحياة وتربية الأبناء، ولذلك ترى الكنيسة أن العلاقات المثلية هى ضد وعكس وتتعارض مع المشروع الإلهى للمفهوم الزواج الكاثوليكي.

فالتعاليم الرسمية تؤكد أن الزواج سر مقدس يتم بين رجل وامرأة. ويهدف إلى التفاهم والمشاركة، ويعتبر الأساس لتكوين الأسرة.

أما عن التعاليم الأخلاقية، فتنظر الكنيسة إلى العلاقات المثليّة كأمر غير متوافق مع تعاليمها الأخلاقية. ففى وثائق مثل «مذهب الأخلاق الجنسية» (Catechism of the Catholic Church)، تُعتبر الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج بين رجل وامرأة غير مقبولة ، ومع تطور المجتمعات والمطالبة بحقوق المثليين، تجدّد الكنيسة وتؤكد رفضها التكيف مع هذه التغييرات.

أما التعاليم الكتابية: فتعاليم الكنيسة مبنية على الكتاب المقدس، إذ تنظر إلى نصوص مثل سفر التكوين (١: ٢٧) ، والتى تتحدث عن خلق الإنسان على صورة الله، وكذلك بعض رسائل العهد الجديد، كحجج ضد زواج المثليين.

الطبيعة البشرية: تؤكد الكنيسة الكاثوليكية على أن الزواج جزء من التصميم الإلهى للطبيعة البشرية، ويعتبر الزواج بين الرجل والمرأة هو السبيل الوحيد الذى يساهم فى استمرارية الحياة، البابا فرانسيس يؤكد رفض الكنيسة للعلاقات المثلية باعتبارها تتعارض مع تعاليم الكنيسة ويرفض الاعتراف بقانونية زواج المثليين.

رأى الكاثوليكية فى مباركة زواج المثليين

يؤكد الأنبا باخوم أن الكنيسة الكاثوليكية هى كنيسة جامعة رسولية ذات تعاليم ومعتقدات واحدة وغير محدودة بزمان أو مكان، ومن هذا المنطلق نفهم ما يلي: الموقف الرسمى للكنيسة الكاثوليكية، كما هو محدد فى تعاليمها، هو أن الزواج هو اتحاد بين رجل وامرأة. ولذلك فإن زواج المثليين يعتبر غير متوافق مع مفهوم الزواج حسب الخطة الإلهية.

و رأى الكتاب المقدس فى المثلية الجنسية:سفر التكوين (١:٢٧): يُذكر أن الله خلق الإنسان على صورته، ويشير إلى ازدواجية الجنس كجزء من التصميم الإلهي.

سفر اللاويين (١٨:٢٢ و٢٠:١٣): يحتوى على نصوص تعتبر العلاقات الجنسية بين المثليين محرمة، وتُعبر عن هذا باعتباره «رجسًا».

رسالة رومية (١:٢٦-٢٧): يتحدث بولس الرسول عن الممارسات المثلية كمظهر من مظاهر الابتعاد عن الله، ويربطها بتغيير النظام الطبيعي.

رأى التفسيرات ، التفسيرات التقليدية

التفسير الحرفي: تعتبر النصوص المذكورة دليلاً قاطعاً على عدم جواز الممارسات المثلية فى الإيمان المسيحي.

الأخلاقية التقليدية: وتتخذ الكنيسة الكاثوليكية الموقف التقليدي، معتبرة أن المثلية الجنسية تتعارض مع التعاليم الإلهية.

الكنيسة الإنجيلية

من جانبه، عبر القس رفعت فكري، الأمين العام المساعد لمجلس كنائس الشرق الأوسط، عن موقف الكنيسة الإنجيلية قائلاً: الكتاب المقدس منذ البدء، منذ بداية سفر التكوين، قال أن الله خلق الإنسان «ذكراً وأنثى»، و الزواج المبارك من الكتاب المقدس هو زواج الرجل بالمرأة ، والكتاب يدين أى زواج خارج هذا الإطار. ولذلك فإن الكنيسة فى مصر بمختلف طوائفها (الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية) ترفض زواج المثليين، لأن الزواج هو لرجل واحد وامرأة واحدة مدى الحياة، ولا يفرق بينهما إلا الموت.

وأكمل فكري، إذا كانت بعض الطوائف فى الدول الغربية تسمح بزواج المثليين، فهذا يعتبر خروجا عن تعاليم ومبادئ الكتاب المقدس، وهذه الأفكار الأجنبية التى تستغل فكرة الحرية خطأ، تحت عنوان الحرية دون قيود أو ضوابط، ولهذا نجد أن هناك أفكاراً تعارض مؤسسة الأسرة وتدمرها، ولكن هذا يعتبر خروجاً عن تعاليم الكتاب المقدس ومبادئه، ونحن ككنائس شرقية نرفض ما يفعله بعض الطوائف من مراسم لزواج المثليين داخل الكنائس الغربية.

وأضاف: بحسب مبادئ الإنجيل، نحن نكره الخطية ولكننا نحب الخطاة. لقد أحب المسيح كل الناس ودعاهم إلى التوبة، ولم يرفضهم، بل احتواهم ، قيل عن السيد المسيح أنه كان يحب العشارين والخطاة ولذلك نكره الشر والخطية، ولكن رسالتنا هى احتواء الخطاة ومحبتهم ودعوتهم إلى التوبة وتقديم لهم رسالة محبة وغفران وتسامح.

لا يمكن للكنائس الشرقية أن تسمح بزواج المثليين لأن الفعل بحد ذاته إجرامي، ولا أعتقد أنه ستكون هناك مباركة من الكنائس لهذا الفعل. وحتى فى نظر الكنيسة فإنهم خطاة والكنيسة تصلى من أجلهم لكى يعودوا مرة أخرى.

و كانت قد وافقت بعض الكنائس الغربية رسميًا على السماح للكهنة بمباركة الأزواج المثليين، وفقا لوثيقة تشرح التغيير الجذرى فى سياسة الفاتيكان، وتؤكد الوثيقة الصادرة عن المكتب العقائدى بالفاتيكان أن الأشخاص الذين يطلبون محبة الله ورحمته لا يتعين عليهم الخضوع لـ «تحليل أخلاقى شامل» من أجل الحصول على بركة الكنيسة.

ورغم أن الوثيقة تشير إلى أن الزواج هو سر مدى الحياة بين رجل وامرأة، إلا أنها تؤكد أيضا أن طلبات الحصول على مثل هذه البركات «لا ينبغى رفضها تماما»، وقدم الفاتيكان تعريفا شاملا لمصطلح "البركة" فى الكتاب المقدس، لافتا إلى أن الأشخاص الذين يبحثون عن علاقة مع الله ويطلبون محبته ورحمته لا ينبغى أن يخضعوا لـ "تحليل أخلاقى شامل" كشرط مسبق للحصول عليه.

الكنيسة الكاثوليكية: تتعارض مع المشروع الإلهى لمفهوم الزواج الكاثوليكى

الكنيسة الإنجيلية: لا يمكن للكنائس الشرقية أن تسمح به لأن الفعل بحد ذاته إجرامي

الأنبا باخوم

القس رفعت فكري

القس مارتيروس جمال

تحقيق- مادونا شوقى

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة -الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

رمت الفؤادَ مليحة عذراءُ
بسِهام لحظ ما لهنّ دواءُ
مَرّت أوانَ العيد بَيْنَ نواهد
مثل الشموس لحاظُهنّ ظباءُ
فاغتالني سقمي الذي في باطني
أخفيته فأذاعه الإخفاءُ
(عنترة بن شداد)

د. محمد عبود الخبير فى الشؤون الإسرائيلية لـ «المشهد»:

جر مصر للصراع كابوس لا يتمناه أشد المتطرفين فى المجتمع الصهيونى

رويدًا رويدًا تتسع رقعة الحرب، مما ينذر بحرب أقليمية وشيكية إن لم تكن قد اندلعت بالفعل، تأكدت ملامحه مع تخلى إيران عما عرف بسياسة "الصبر الإستراتيجي" بعد أن أغرقت الكيان بعشرات الصواريخ البالستية التى كان لها كبير الأثر على بنية السلاح الجوى فى الجيش الإسرائيلى وسط تكتم شديد من الرقابة العسكرية الصهيونية فى الإفصاح عن حجم الخسائر التى منى بها فى هذه الضربة، وفى هذا الصدد كان لجريدة «المشهد» هذا الحوار مع الدكتور محمد عبود الخبير فى الشئون الإسرائيلية ومدرس الأدب العبرى بجامعة عين شمس بالقاهرة، والذى كشف فيه قراءته للحرب الدائرة منذ نحو عام وما يمكن أن تؤول إليه، وطبيعة الموقف المصرى من الحرب، وفرص نجاة نتنياهو من المحاسبة وغيرها من القضايا وإليكم نص الحوار:

أسلحة للمستوطنين المتطرفين برعاية حكومية

لم تدرك حماس أن عملية طوفان الأقصى سوف تُشعر الصهاينة بأنهم فى حرب وجودية لابد فيها من ممارسة أقصى درجات الإجرام

● بعد مرور عام من طوفان الأقصى من الأكثر استفادة منه حتى الآن، حماس بجعل القضية الفلسطينية على الواجهة أم إسرائيل بتوحشها ورغبتها فى رسم خريطة جديدة للشرق الاوسط؟

– لا شك أن عملية طوفان الأقصى أعادت القضية الفلسطينية إلى طاولة النقاش. وبعثت اهتمامًا فى المجتمعات الغربية وعلى وسائل التواصل الاجتماعى بحق الفلسطينيين فى تقرير المصير وفى إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وأعلنت بعض الدول الأوربية اعترافها بالدولة الفلسطينية، لكن فى الوقت نفسه لا شك أن الثمن الذى دفعه الشعب الفلسطينى من أرواح أبنائه وممتلكاته ومكتسباته فى قطاع غزة ثمنًا فادحًا. وأعتقد أن قيادة حماس عندما اتخذت قرار تنفيذ عملية طوفان الأقصى لم تتوقع شكل رد الفعل الإسرائيلى وحجمه ومدى إجرامه. ولم تدرس تداعيات العملية جيدا. راهنت حركة حماس على الانقسامات الداخلية فى إسرائيل التى كانت قد وصلت ذروتها حتى السادس من أكتوبر، لكنها لم تدرك أن عملية طوفان الأقصى سوف تُشعر الصهاينة بأنهم فى حرب وجودية لابد فيها من ممارسة أقصى درجات الإجرام لرد الضربة وطمأنة المستوطنين على أمنهم الشخصي، واستعادة صورة الردع المتآكلة، وأخيرا إعادة رسم خريطة المنطقة بشكل يؤمن بقاء إسرائيل لعقود أخرى دون أن يتجرأ عليها أعداؤها كل حين!

● بعد أحداث الاول من أكتوبر وضرب إيران لإسرائيل بالصواريخ البالستية، كيف ترى مستقبل هذه المعركة بين إيران وإسرائيل؟

– تحاول إسرائيل استدراج إيران لمعركة مباشرة تقضى فيها تل أبيب على المشروع النووى الإيرانى كما دمرت المفاعل العراقى عام ١٩٨١. وإذا استعرضنا الأوراق التى تنشرها المراكز البحثية فى تل أبيب، سنجد أن هناك إجماعًا فى إسرائيل أن المعركة التى تخوضها تل أبيب مع حماس وحزب الله والحوثيين والميليشيات الشيعية فى العراق وسوريا هى معركة مع أذرع "الأخطبوط الإيراني" بحسب التعبير العبري. وأن انتصار إسرائيل فى هذه المعركة يحتم ضرب الرأس فى طهران حتى تضمر الأطراف فى لبنان واليمن والعراق وسوريا. ومن ثم فإن القرار الاستراتيجى فى إسرائيل هو ضرب طهران وبرنامجها النووى لكن المشكلة تتمثل فى أن قدرات إسرائيل الذاتية هجوميا ودفاعيا لا تؤمن لها ذلك. وكل الطرق إلى ضرب إيران تؤدى إلى واشنطن. تريد إسرائيل جر أمريكا لهذه المعركة بكل السبل، لكن الإدارة الأمريكية الحالية لا تود أن تنزلق المنطقة لحرب إقليمية لأسباب عديدة أهمها: – أولا: الحفاظ على المصالح الأمريكية العليا والحفاظ على أرواح الجنود الأمريكان فى المنطقة. ولا شك أن عودة الجنود الأمريكان من الشرق الأوسط فى نعوش هو آخر مشهد يريد أن يراه الناخب الأمريكي. – ثانيا: اندلاع مثل هذه الحرب قد يضطر واشنطن لإرسال مزيد من القوات للشرق الأوسط لحماية إسرائيل، وهذا الأمر سيعرض مزيدا من الجنود الأمريكيين للخطر، ويتحمل وزره الحزب الديمقراطي، وهو ما قد يستغله ترامب فى المزايدات الانتخابية، ويحقق به مكاسب انتخابية بالغة. – ثالثا: بالنسبة للأمريكان فإن الانخراط فى حرب من هذا القبيل يخدم المصالح الروسية والصينية. ويصرف الانتباه عن الحرب الأوكرانية، ويطلق العنان لبوتين لتوجيه الأمور فى أوروبا لمصلحة موسكو. – رابعا: تخشى واشنطن من التبعات الاقتصادية السلبية لهذه الحرب على أسعار النفط بما يؤثر على الأوضاع الاقتصادية فى الداخل الأمريكي.

● ما احتمالات توسع هذه الحرب إلى حرب إقليمية فى المنطقة؟

– على الرغم من أن بعض الاتجاهات اليمينية الفاشية فى حكومة نتنياهو ترى فى الوضع المتأزم حاليًا فرصة ذهبية للقضاء على المشروع النووى الإيرانى واستدراج واشنطن لحرب إقليمية واسعة تضامنا مع إسرائيل، فإننى أعتقد أن واشنطن سوف تستمر فى استراتيجية «الأيدى المكبلة» للضربات الإيرانية والإسرائيلية. تحصل واشنطن على معلومات عن حجم كل ضربة وأهدافها وتوقيتها وتنقلها للطرف الآخر. وتعمل على أن تظل الضربات المتبادلة فى حدود الفعل ورد الفعل ولا تتطور الأمور إلى حرب إقليمية واسعة تضر المصالح الأمريكية العسكرية والاقتصادية.

● كيف تتصور طبيعة الرد الإسرائيلى على إيران وهل يمكن أن يمتد إلى خطوط إيران الثلاثة الحمراء وعلى رأسها المفاعلات النووية؟

– فى ضوء القيود الأمريكية ورسائل التحذير السرية والعلنية التى تصل لتل أبيب، فإن بنيامين نتنياهو يدرك أن واشنطن لن تقبل بضرب مصالحها الاستراتيجية فى المنطقة فى مغامرات إسرائيلية غير محسوبة! صحيح أن بنيامين نتنياهو يواجه ضغوطا من حلفائه من أحزاب اليمين الفاشى المتطرف لضرب المفاعلات النووية الإيرانية والسدود المائية وموانئ وآبار النفط، لكن بنك الأهداف الإسرائيلى فى طهران لا يتلاءم مع الاشتراطات الأمريكية. وإسرائيل تحتاج لواشنطن من أجل تنفيذ أية ضربة ضد طهران لا سيما أن الهجوم الإسرائيلى ضد إيران يحتاج جهدا عسكريًا ضخمًا وتسليحًا ودعما أمريكيًا لوجستيًا واسعًا بسبب التباعد الجغرافى بين تل أبيب وطهران الذى يصعب المهمة بالمقارنة مع العملية فى جنوب لبنان. ومن ثم أعتقد أن إسرائيل بالإضافة لضرب الأذرع الإيرانية ومواصلة جرائم الاغتيالات، قد توجه لطهران ضربة مشابهة للضربة التى تلقتها فى أكتوبر ٢٠٢٤ بحيث تستهدف مطارات وقواعد عسكرية ومعدات دفاع جوى ومنشآت تابعة للدولة وضربات تحذيرية بالقرب من مفاعلات نووية كما فعلت طهران فى هجومها الأخير عندما صوبت صواريخا باليستية بالقرب من مفاعل ديمونة.

● هل تأخر حزب الله فى الدخول إلى الحرب، وضيع على نفسه فرصة سانحة لضرب إسرائيل ضربات موجعة بعد أن استبدل الكيان قواته من ناحية الجنوب بقوات احتياط فى بداية حربه على غزة؟

– لم يكن القرار الاستراتيجى لدى حزب الله الدخول فى حرب مباشرة مع تل أبيب، ولكن قرار الحزب كان تحويل جنوب لبنان لجبهة إسناد للمقاومة الفلسطينية فى قطاع غزة. وتشتيت الجهد العسكرى الإسرائيلى شمالًا وجنوبًا والضغط اجتماعيًا واقتصاديًا على سكان المستوطنات الشمالية من خلال إجبارهم على النزوح من المستعمرات. وقرار حزب الله على هذا النحو كان مقيدًا باعتبارات كثيرة من ضمنها القرار الإيرانى وقيود الساحة السياسية فى لبنان. غير أن طول مدة الحرب حول جنوب لبنان إلى جبهة استنزاف مرهقة عسكريًا واقتصاديا واجتماعيا لإسرائيل، ومن ثم جاء القرار الإسرائيلى بتحويل الجهد العسكرى من الجنوب إلى الشمال بعد تحييد معظم كتائب المقاومة فى القطاع. لكن على كل حال مازالت هذه الحرب فى فصولها الأولى، ولن يحسم الإسرائيليون هذه الحرب بالاغتيالات وسلاح الطيران. وسوف تظل المعارك البرية هى فصل الخطاب فى الحروب. ولدى إسرائيل تجربة مريرة مع حزب الله فى ٢٠٠٦، وليس هناك ما يمنع حتى الآن من تكرار التجربة نفسها.

● عاش الداخل الإسرائيلى حالة من الانتشاء بعد اغتيالهم لقيادات حزب الله بما فيهم السيد حسن نصر الله فكيف هو الوضع الآن بعد الضربة الإيرانية فى الداخل؟

– طبعا، بعد اغتيال حسن نصر الله وقيادات حزب الله ظهرت حالة من الشماتة فى الشارع الإسرائيلي، ثم أتت الضربة الإيرانية لتدخل الإسرائيليين الملاجئ، وتذكرهم بأن الحرب يوم لك ويوم عليك. لكن بعيدا عن الشماتة الإسرائيلية ومشاهد توزيع الحلوى ابتهاجًا باغتيال قادة المقاومة، هناك أصوات إسرائيلية مهمة تنتقد غياب الرؤية الاستراتيجية لدى الحكومة. وتقول بوضوح إن الاغتيالات بالنسبة للإسرائيليين مثل الحلوى التى ترفع مستوى السكر فى الدم وتحسن المزاج العام لكن لفترة قصيرة، ثم تتسبب فى نتائج كارثية. عندك مثلا الخبير الاستراتيجى يوسى ميلمان الذى يرى أن الاغتيالات إنجاز تكتيكى مؤقت لكنها لن تحقق مكاسب استراتيجية لن تعيد المستوطنين إلى الشمال، ولن تقضى على خطر حزب الله، وبعد وقت طويل أو قصير سوف تمنح منظمات المقاومة فرصة لتجديد شبابها والدفع بخيول جديدة تريد أن تثبت ذاتها فى ساحة الحرب ضد إسرائيل.

خلاصة القول إن جرائم الاغتيالات أنزلت بحزب الله ضربة مادية ومعنوية صعبة، لكن نجاعة هذه العمليات وتأثيرها محدود زمنيًا. وعلى الرغم من تصفية الشخصيات القيادية مازالت صواريخ الحزب تضرب العمق الإسرائيلي، ومن ثم لم تستطع إسرائيل ضرب آليات القيادة والسيطرة كما روجت لذلك.

● هل نجح نتنياهو فى الإفلات من العقاب على إخفاقه فى طوفان الأقصى بتوسيعه لدائرة الحرب؟

– لن يفلت نتنياهو من العقاب فى إسرائيل، لكن المعادلة الثابتة فى تل أبيب أن الحساب الختامى يتم بعد وقف إطلاق النار. ولا شك أن عملية السابع من أكتوبر تعتبر أضخم هجمة فلسطينية فى العمق "الإسرائيلي" منذ عام ١٩٤٨. ويتفق عدد من المقربين من نتنياهو على أنه فقد توازنه النفسى لمدة ٤٨ ساعة. وواجه صعوبة فى لملمة شتات نفسه بسبب إدراكه أن هذا التقصير حدث تحت ولايته وأن المجتمع الإسرائيلى لن يغفر له هذا التقصير الفادح. غير أن نتنياهو وفريقه السياسى استطاعوا تعويم أنفسهم مرة أخرى عبر ثلاث مسارات متوازية: أولا: شن حرب إبادة ضد البشر والحجر والشجر فى قطاع غزة مما يغذى شهوة الانتقام لدى المواطن الإسرائيلي. وثانيا: إتباع سياسة فرق تسد فى الساحة السياسية الإسرائيلية لمنع تبلور أية حركة احتجاجية ضد نتنياهو، ثالثا: الرهان على عنصر الوقت. وهذا الرهان نجح فيه نتنياهو حيث عاد يرتفع مرة أخرى فى استطلاعات الرأي. ونجح فى تعويم نفسه فى الساحة السياسية بعدما غرق بحزب الليكود فى قاع استطلاعات الرأي!

● هل الهجرة العكسية لليهود من الكيان مؤثرة بقدر كبير على بقائه أما أنها مجرد أرقام بسيطة؟

– تتناسب معدلات الهجرة العكسية فى إسرائيل طرديًا مع حجم المخاطر العسكرية والوجودية التى تهدد المواطنين الإسرائيليين. فكلما مرت إسرائيل بحرب تهدد الأمن الشخصى للمواطنين تبرز ظاهرة الهجرة العكسية، وتسجل رحلات الإقلاع من مطار بن جوريون معدلات مرتفعة. كما يحتفظ عدد كبير من الإسرائيليين ببوليصة تأمين مدى الحياة تتمثل فى جنسية إضافية وجواز سفر سارى المفعول لاستخدامه وقت الحاجة. لكن يجب ملاحظة أن أعدادا كبيرة أيضا من هؤلاء المهاجرين يعودون فور هدوء الأوضاع. ومن ثم لا أرى مبررا للمبالغة فى تقدير أثر الهجرة العكسية على المجتمع الإسرائيلي، ولا أعتقد أنه من المفيد إعطاء هذه الظاهرة أكبر من حجمها.

● كيف تقيم الموقف المصرى الرسمى تجاه ما يدور من أحداث فى هذا الصدد؟

– الموقف المصرى من الأزمة الفلسطينية منذ بدايتها اتسم بالوضوح الشديد. فعلى المستوى السياسي: أكدت القيادة المصرية على التمسك باللاءات الثلاث: لا للتهجير، لا لاحتلال القطاع جزئيًا أو كليا، لا لتصفية القضية الفلسطينية. وأثبتت الأيام والليالى مبدئية الموقف المصرى وثباته فى دعم المواطن الفلسطيني. وعلى المستوى الإنسانى عملت القاهرة على توفير الدعم المتواصل للأشقاء الفلسطينيين، وتعرية الجرائم الإسرائيلية بحق الفلسطينيين، والعمل الدؤوب فى جميع الأطر الدبلوماسية لوقف العدوان على القطاع والحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني.

ناهيك طبعًا عن الجهود المصرية المبذولة فى إطار الوساطة لوقف إطلاق النار وتبادل الأسرى بين إسرائيل وحماس والاتصالات المصرية مع جميع الأطراف منذ اليوم الأول للحث على ضبط النفس والتصرف المسؤول وعدم التصعيد وتحكيم العقل وتجنيب المنطقة لتداعيات خطيرة. والأمر الإيجابى اللافت فى هذه المرحلة الدقيقة هو التطابق بين الموقف الشعبى والرسمى منذ اللحظة الأولى، لاسيما أن موقف مصر كما عبر عنه الرئيس عبدالفتاح السيسى يعكس بصدق إرادة الشعب المصرى ورغبته فى وقف العدوان ضد الفلسطينيين ودعم الأشقاء والسير فى اتجاه حل الدولتين.

● ماذا عن محور صلاح الدين ومعبر رفح هل من الممكن أن يتوسع فيها الصراع بسبب اختلاف وجهات النظر المصرية والصهيونية؟

– لدى إسرائيل أطماع كبيرة تتعلق بتقطيع أوصال قطاع غزة عبر السيطرة على حدوده الشمالية، وفصل الشمال عن الجنوب عبر محور نيتساريم الذى يشق قطاع غزة من المنتصف، والسيطرة على محور صلاح الدين على الحدود المصرية مع القطاع. والحقيقة أن الموقف المصرى هو الرادع الوحيد لإسرائيل فى ملف محور صلاح الدين. تتمسك القاهرة بالاتفاقيات السياسية الموقعة التى تحدد أشكال التواجد على محور صلاح الدين، وكذلك الملاحق الأمنية المعدلة بعد الانسحاب الإسرائيلى من القطاع عام ٢٠٠٥. وترفض القاهرة أية تعديلات إسرائيلية لهذه الاتفاقيات من جانب واحد. ويجب أن نلاحظ أن الدولة العميقة فى إسرائيل والأجهزة الأمنية وقادة المؤسسة العسكرية يحسبون ألف حساب للدولة المصرية وقدراتها البشرية والسياسية والعسكرية. ويعلم الإسرائيليون أن جر مصر لصراع مع إسرائيل هو كابوس لا يتمناه أشد المتطرفين فى المجتمع الإسرائيلي. لذلك كل من يتابع الساحة السياسية فى إسرائيل عن كثب شاهد حجم الهجوم على نتنياهو فى أعقاب تمسكه بالبقاء فى محور صلاح الدين، والاتهامات التى طالته بأنه يهدد أمن إسرائيل وأن محور صلاح الدين "شماعة" نتنياهو لعرقلة وقف إطلاق النار وتفجير صفقة تبادل الأسرى وإطالة أمد الحرب.

● ما السيناريوهات التى تتخيلها لنهاية هذه الحرب؟

– هذه الحرب مستمرة طالما استمر نتنياهو وحكومة اليمين الدينى المتطرف فى إسرائيل. لقد ربط نتنياهو وجوده السياسى بأحزاب اليمين المتطرف التى تحركها أوهام دينية مريضة حول دخول المنطقة حروب نهاية العالم، وأن الحرب الدائرة حاليًا هى تمهيد لصراع أكبر مع إيران وحلفائها ينتهى باندلاع حرب "يأجوج ومأجوج" حسب العقيدة التلمودية، ومن ثم يدفع هؤلاء المتطرفون إلى تصعيد مستمر للموقف لا سيما فى محيط المسجد الأقصى لاستعجال مخطط "السيطرة اليهودية" على المنطقة. ومن ثم أعتقد أن تغيير حكومة نتنياهو الحالية شرط لابد منه من أجل وقف التصعيد الخطير فى المنطقة ومن أجل الحيلولة دون إنزلاق هذا الصراع لحرب دينية لا تبقى ولا تذر!.

اليمين العنصري حاضر بقوة

> مازالت هذه الحرب فى فصولها الأولى ولن يحسم الإسرائيليون هذه الحرب بالاغتيالات وسلاح الطيران. وسوف تظل المعارك البرية هى الفيصل

> الاغتيالات سوف تمنح منظمات المقاومة فرصة لتجديد شبابها والدفع بخيول جديدة تريد أن تثبت ذاتها فى ساحة الحرب ضد إسرائيل

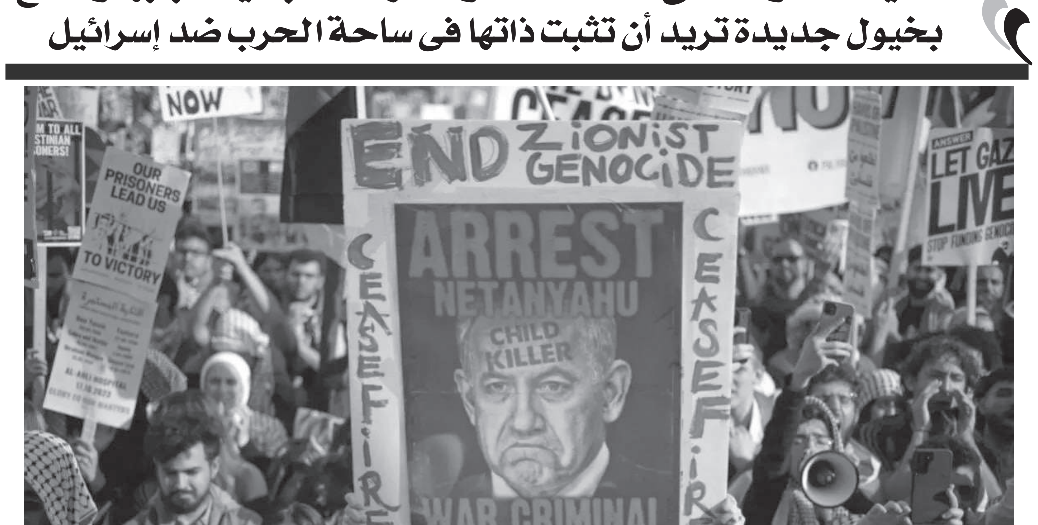

تظاهرات منددة بحرب الابادة تعم عواصم العالم

> لن يفلت نتنياهو من العقاب فى إسرائيل لكن المعادلة الثابتة فى تل أبيب أن الحساب الختامى يتم بعد وقف إطلاق النار

> لا أرى مبررًا للمبالغة فى تقدير أثر الهجرة العكسية على المجتمع الإسرائيلي ولا أعتقد أنه من المفيد إعطاءها أكبر من حجمها

جنازات شهداء لا تتوقف

> على المستوى السياسي: أكدت القيادة المصرية على التمسك باللاءات الثلاث: لا للتهجير لا لاحتلال القطاع جزئيًا أو كليا لا لتصفية القضية الفلسطينية

> الموقف المصرى هو الرادع الوحيد لإسرائيل فى ملف محور صلاح الدين تتمسك القاهرة بالاتفاقيات السياسية الموقعة التى تحدد أشكال التواجد على محور صلاح الدين

حاوره: د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 336 - السنة الثالثة عشرة - الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

هل عندك شك أن دخولك في قلبي
هو أعظم يوم في التاريخ
وأجمل خبر في الدنيا
هل عندك شك فيمن أنت
يا من تحتل بعينيها اجزاء الوقت
يا امرأة تكسر ، حين تمر جدار الصوت

(نزار قباني)

عام على طوفان الأقصى .. ما وراء حسابات الربح والخسارة

صراع مركزى إقليميا وعالميا وممتد يتجاوز الجيوش المتحاربة

عام كامل مع كل هذه الصور للدمار والخراب المدفوعين بتصورات القوى الأكثر تطرفاً

هناك صراعات يصعب فيها إجراء حسابات دقيقة للربح والخسارة، أو بالأحرى لا يمكن الحكم على نتائجها بما يحققه هذا الطرف أو ذاك من الأطراف المنخرطة فى الصراع من مكاسب وما يتكبده من خسائر، ولا يخرج أى من الأطراف المتحاربة منتصراً بشكل حاسم فى حين يكون من الصعب عليهم جميعاً الإقرار بالهزيمة فى أى جولة من الجولات العسكرية المتكررة الحدوث فى مثل هذه الصراعات.

يأتى الصراع بين دول المنطقة وشعوبها وبين المشروع الصهيوني، الذى تجسده دولة إسرائيل، فى مقدمة هذه الصراعات التى تُصنَّف كصراعات اجتماعية ممتدة، تتجاوز الجيوش المتحاربة لتشمل المجتمع بأسره، وتتعدد مستوياته وتتداخل أبعاده وتتشابك. ويندرج فى تلك الفئة من الصراعات الصراع مع إسرائيل، حتى بعد انحساره إقليمياً، فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتحوله إلى صراع فلسطينى -إسرائيلي.

لا أحد يعلم أين يمكن أن تقف حدود هذه الحرب، فى ضوء الحشود العسكرية وتقاطعات المصالح الإقليمية والدولية

فى مثل هذه الصراعات، يكون من الأفضل تحليل التأثير المترتب على كل جولة من جولات المواجهة على الأطراف ومعرفة كيفية استجاباتهم للتحولات فى بيئات الصراع الثلاث، الداخلية والإقليمية والدولية، واختبار التصورات النظرية والفرضيات الأخرى المستمدة من سرديات كبرى ومدى اتفاقها مع الواقع وتغيراته ومدى اختلافها عنه، وتحليل التفاعلات فيما بين الأطراف المنخرطة فى هذا الصراع.

وقد يكون السؤال الأحرى بالبحث بعد مرور عام على الحرب التى أطلقت شرارتها عملية «طوفان الأقصى» فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، ما الذى تغير نتيجة هذه الحرب أم ستكون مثل سابقتها من حروب عانى منها القطاع المحاصر منذ عام ٢٠٠٧؟ وما الذى استطاعت الأطراف المنخرطة تحقيقه من أهداف معلنة أو متصورة أو مفترضة وما لم تستطع تحقيقه؟

ربما يكون هذا التقييم فرصة، أرجو ألا تكون ضائعة كغيرها من الفرص التى ضاعت، فى خضم هذا الصراع وتاريخه الممتد، لإعادة النظر فيما كتب من تحليلات بخصوص هذه المواجهة الأحدث والأكثر دموية، وتقييم مساهمة تلك التحليلات فى تحسين رؤيتنا أو فهمنا للصراع ولقواه المحركة ورصد التغيرات التى طرأت عليه، أم أنها أدت إلى زيادة تشوش الرؤية والفهم، وقد تكون المراجعة فرصة لاختبار مدى ثبات، أو جمود، نظرتنا للصراع فى ضوء المتغيرات الجارية فى العالم وفى مجتمعاتنا، وتأثير تلك النظرة فى تحديد رؤيتنا لمسار الصراع ومستقبله وإمكانية حسمه، وتقييم محاولات تسويته، وهل هى محاولات جادة للتسوية أما أنها تندرج فى إطار إدارته لتحقيق مصالح هذا الطرف أو ذاك، وهل يفسر ذلك عجز القوى المختلفة عن تسويته على نحو يضمن التوصل لترتيبات مستقرة لفترات طويلة تساعد على التنبؤ بمسارته وتطوراته، خاصة أن هذا الصراع يوصف، عادة، بأنه مراوغ وعصى على الفهم، إذ لا يوجد صراع مثله شهد مثل هذه الخلافات الجذرية بخصوص تحليل طبيعته، هل هو صراع دولى أم صراع إقليمى متعدد الأطراف؟ هل هو صراع قومى أم ديني؟ حضارى مرتبط بالسعى إلى تغيير قيم الأطراف المنخرطة فيه والثوابت التى ينطلقون منها؟ هل هو صراع وجود بين مشروعين أو أكثر، أم صراع حدود؟ هل يقبل هذا الصراع التوصل إلى حل ينهى حالة العداء القائمة ويحد من ميله للانفجار بشكل متكرر فى صورة مواجهات مسلحة، إما سعياً لتعديل مواقف أطرافه أو أملا فى التمكن من حسمه بالقوة المسلحة؟

هذه الأسئلة وعشرات الأسئلة الأخرى والمطروحة منذ بداية هذا الصراع تجددت مع حرب غزة المستمرة إلى اليوم والتى من المحتمل أن تتحول إلى حرب إقليمية أوسع قد تتطور إلى حرب عالمية. لا يوجد صراع عالمي، مثل صراع الشرق الأوسط، حظّى بهذا القدر من الاهتمام من قبل كبار السياسيين والزعماء فى العالم، وعلى المستوى الأكاديمى من قبل الباحثين والدارسين والخبراء، والذى عقدت لبحثه ومناقشة تطوراته واحتمالات تسويته آلاف الندوات والمؤتمرات الأكاديمية وورش العمل وحلقات النقاش، ولم يستحوذ صراع مثله على اهتمام وسائل الإعلام المحلية والعالمية، فى فترات مختلفة من تاريخه الممتد لقرابة ٨٠ عاما، منذ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى فى عام ١٩٤٨، والتى سبقتها عقود طويلة من الصراع على أرض فلسطين قبل الانتداب البريطانى وأثناءه، بين السكان المقيمين وبين المهاجرين اليهود. اللافت للنظر أن هذا الصراع المستعصى على الحل، صمد فى مواجهة رياح التغيير العاتية، التى اجتاحت العالم شرقا وغربا، شمالاً وجنوبا وظلت له ملامح ثابتة لا تتغير بتغير الظروف المحيطة به وإن تبدلت مستوياته وتغيرت صوره وأدواته. ولا يوجد صراع مثله تداخلت فيه كل التناقضات الداخلية والخارجية وشهد الكثير من تبدل التحالفات حوله.

لقد كان الصراع العربي-الإسرائيلى والصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، الذى عرف فى كثير من أدبيات الأمم المتحدة بمشكلة الشرق الأوسط، محوراً رئيسيا لدراسات الشرق الأوسط فى كثير من الجامعات والمعاهد ومراكز التفكير والبحث فى الولايات المتحدة وفى أوروبا وفى العالم العربى والتى أصدرت عدداً لا يحصى من الدراسات والتقارير والكتب، التى تناولت الجوانب المختلفة لهذا الصراع وأطلقت مئات البرامج البحثية التى جعلت من الصراع ميداناً للبحث لاختبار نظريات الصراع وتطويرها، فظهرت العديد من النماذج التحليلية والأطر النظرية لتفسير هذا الصراع فى مراحله المختلفة وفى الاشتباك مع كثير من المفاهيم التى ارتبطت به، وظهرت فى سياق هذه الدراسات العديد من التخصصات الفرعية، مثل الدراسات الإسرائيلية وتسوية الصراع وأبحاث السلام التى عقدت مقارنات بين هذا صراع الشرق وبين كثير من الصراعات الدولية، والتى تناولت مفاهيم مثل التطبيع والخصوصية، أو ظواهر مثل الإرهاب.

وعلى الرغم من كل المحاولات التى استهدفت تحويله من صراع مركزى إلى واحد من بين الصراعات العديدة التى تعانى منها منطقة الشرق الأوسط التى تعج بالصراعات منذ مطلع القرن العشرين، والتى جعلت المنطقة التى تشكل قلب العالم القديم الأكثر اضطراباً والأقل استقرارا فى العالم منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، إلا أن تطورات الصراع وتعرجاته تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الصراع هو محور للصراع الإقليمى وربما الصراع العالمي، وأنه صراع مركزى قد يترتب على تسويته أو حله أو حسمه الكثير من الترتيبات العالمية.

وهذه الوضعية جعلت هذا الصراع ميداناً رئيسيا لسيادة نظريات المؤامرة أو لتفسير الحوادث التاريخية من منظور المؤامرة، التى يراها البعض صهيونية، فيما يراها آخرون مؤامرة كونية كبرى. فى ظل سيادة هذه النظرية وتلك التفسيرات، جرى ربط كل الصراعات والحروب فى المنطقة وربما فى مناطق أخرى من العالم بهذا الصراع، حتى لو تكن إسرائيل طرفاً فيها، ونظر إليها كخطوة فى سبيل تحقيق المشروع الصهيونى وإقامة إسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات حسبما تقول أسطورة أرض الميعاد فى نسختيها اليهودية أو العربية، والتى كانت نقطة انطلاق لكثير من الناس عند الحديث عن أى موضوع يتصل بالصراع مع إسرائيل.

وإذا لم تعجبك النسخة الدينية لرواية المؤامرة، فهناك نسخة يسارية تتشارك فيها بعض العقائد السياسية العلمانية تضع هذا الصراع فى سياق الصراع الأممى الممتد، تاريخاً وجغرافية، ضد الرأسمالية ومشروعها التوسعى وتنظر إلى إسرائيل باعتبارها قاعدة متقدمة للإمبريالية العالمية التى تتزعمها الولايات المتحدة التى تسعى للسيطرة على مقدرات الشعوب وثرواتها، أو مخلباً لتأديب من يتجرأ على تحدى القوى الإمبريالية، ووفق هذه السردية فإن إسرائيل ربيبة الاستعمار القديم والحديث، وأى استعمار قد ينشأ. وفى كل هذه السرديات هناك الكثير جداً من الأساطير والأوهام والقليل جداً من الحقائق والوقائع، وفى ظلها، يتم التركيز على حالة الحرب المستمرة وإخفاء الممكنات الأخرى للمسارات البديلة فى تاريخ هذه العلاقة المضطربة والمعقدة، ويتم أيضاً تغليب الرؤى الكارثية التى تبشر بالخراب والدمار وتنشر صوره فى كل مكان وتحجب صوراً أخرى تشير إلى تغيرات قد تساهم فى تغيير هذا الواقع المرير إلى واقع أفضل، والغلبة فى كل هذا لمشاعر الكراهية المتبادلة بين العرب والمسلمين واليهود، والتى ترد الصراع إلى مكوناته الدينية والقومية.

عشنا طوال عام كامل مع كل هذه الصور للدمار والخراب المدفوعين بتصورات القوى الأكثر تطرفاً التى تتصدر المشهد بعدما تراجعت القوى الأكثر اعتدالا التى كان من الممكن أن ترسم صورة أخرى للمستقبل، خصوصا بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلى اسحق رابين الذى أراد أن يشق طريقا جديداً مغايرا للمستقبل، وحاول فى عام ١٩٩٢، التعامل مع المشكلة بشكل مباشر، مثلما فعل السادات فى عام ١٩٧٧، ولا غرابة فى أن يكون الرجلان هدفاً لقوى التطرف الدينى والقومي، الذين رأوا فيما طرحه الرجلان عقبة أمام مساعيهم للهيمنة وفرض تصوراتهم على الجماهير التى تدفع ثمن هذا الصراع، قتلا وتشريدا وتهجيرا، وهى راضية ومقتنعة بأنه ثمن زهيد من أجل الغايات العليا والأهداف السامية. ومع كل تجدد للقتال تنتعش الآمال فى أننا نشهد معركة النهاية الفاصلة وتُصَمُّ الآذان عن سماع أى قول يردد أنها جولة من الجولات التى من المرجح أن نشهد عشرات مثلها طالما استمرت القوى الدافعة لاستمرار الصراع، لكن من المؤكد أن هذه الجولة، كغيرها من جولات سبقتها، ستؤدى إلى تحولات تؤثر على تصورات الأطراف المتصارعة ومخططاتهم وأهدافهم، لكن التحولات هذه المرة قد تؤدى إلى تأثير أعمق وأبعد مدى، مما يجعل هذه الحرب علامة فارقة بين ما قبلها وما بعدها، مما يستدعى البحث عن إطار جديد ومنظور جديد نرى من خلاله الصراع.

نحو منظور جديد

انطلقت هذه الجولة، وهى المواجهة العسكرية الأطول فى تاريخ الصراع، بعد هجوم «طوفان الأقصى»، بقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وفصائل فلسطينية أخرى متمركزة فى قطاع غزة، والتى كانت تجهز لمعركة تتطلع لأن تكون شرارة لحرب أوسع تشارك فيها أطراف أبعد تنتهى بتحرير القدس، والقضاء على دولة المشروع الصهيوني، ليُكتب فصل جديد فى تاريخ المنطقة. وفتحت هذه الحرب الباب واسعا أمام أسئلة كبرى بخصوص المستقبل وكيف سيكون.

الرأى السائد لدى الجانبين أن هذه الجولة يجب أن تكون مختلفة عما سبقها، إذ يرى كل طرف أنها فرصة حسم الصراع لصالحه أكبر، نظراً لاختلاف طبيعة هذه المواجهة والاستعداد لها والقوى التى احتشدت بسببها. ولا شك أن هجوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، هو لحظة فارقة فى هذا الصراع، من زاوية سعى كل طرف لتغيير المعادلة. وفى ظل هذا الانشغال الشديد بتغيير الواقع، كان لا بد من وقفة ما لتفسير الواقع وفهمه للوقوف على ممكنات هذا التغيير ومساراته، ولتحليل مواقف وأهداف القوى الساعية للتغيير، وفى أى اتجاه تمضي.

كان لا بد من وقفة نحلل فيها الحاضر لاستشراف المستقبل وكيف سيكون شكله، ومن المهم أن يكون هذا التحليل متحررا من السرديات المشحونة بالنبوءات ومن التمنيات والرغبات والصور النمطية والتصورات المسبقة المبنية على تصورات محددة للصراع تتجاوز حدوده الواقعية والفعلية، وأن يسعى التحليل لتقديم منظور جديد للصراع يساعدنا على فهم اللحظة واستيعابها ويزودنا، فى الوقت نفسه، بأدوات تمكننا من تطوير بدائل لما يسعى المتطرفون لفرضه على شعوب المنطقة، وهو ما حاولته فى سلسلة المقالات المنشورة من خلال جريدة المشهد تحت عنوان ثابت هو «حرب غزة ٢٠٢٣».

وظفت فى هذه المقالات كل ما تراكم لدى من معرفة عن هذا الصراع وتاريخه، وهى معرفة لم تتكون فقط من خلال فترة فى حياتى المهنية عملت خلالها عن قرب مع مناضل مصرى وأستاذ جليل هو الدكتور رؤوف نظمى (محجوب عمر) فى مكتب مركز التخطيط الفلسطيني، وإنما أيضا من خلال نشاطى فى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، التى شكلها نخبة من المثقفين المصريين فى مطلع الثمانينات، رداً على محاولات العبث بمقومات ثقافتنا الوطنية وركائزها، فى أعقاب معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية عام ١٩٧٩، ونشاطى فى اللجنة المصرية لدعم الانتفاضة الفلسطينية التى تشكلت لمساندة أطفال الحجارة فى انتفاضتهم ضد جنود الاحتلال فى القدس وفى الضفة الغربية المحتلة وفى قطاع غزة، والتى غيرت نظرة العالم للمشكلة الفلسطينية من مشكلة لاجئين إلى شعب يكافح من أجل حقه المشروع فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة، وأيضا من خلال نشاطى البحثى والصحفى واتصالى المباشر بشخصيات فاعلة ومؤثرة فى هذا الملف، ومن خلال متابعة كل ما يصدر من تقارير ودراسات حول هذا الصراع والقضايا المرتبطة به. والأهم أننى وظفت معرفتى بالتطورات داخل إسرائيل والتى كنت اتابعها متابعة دقيقة عن كثب وكذلك معرفتى بتفاصيل ما يدور فى الأراضى الفلسطينية المحتلة من خلال عملى لنحو ثمانى سنوات محررا ومترجما لبعض إصدارات مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة التابع للأمم المتحدة.

لم اكتف فى هذه المقالات بالتعليق على ما يدور من أحداث وما يصدر من تصريحات تعبر عن مواقف الأطراف المنخرطة فى الصراع والمعنية به، وانما انصب اهتمامى الأساسى على محاولة فهم التغيرات التى جرت فى البيئة الداخلية والإقليمية والدولية، وتحليل المواقف وردود الفعل الإقليمية والدولية، ومحاولة الإجابة على بعض الأسئلة المثارة خلال هذه المواجهة واحتمالات تطور هذا الصراع ومساراته الممكنة والمتخيلة. وانصب اهتمامى أيضاً على مناقشة المنطلقات الفكرية والنظرية لمواقف الأطراف المنخرطة فى الصراع والخبرات الإقليمية والدولية فى التعامل معه، ونقد السرديات الحاكمة له وما يرتبط بها من رؤى وتصورات ونبوءات. وحاولت تفسير استعصاء هذا الصراع على الحل. ولم أهتم فقط بالموضوعات التى يركز عليها الإعلام الدولى والمحلى والأسئلة التى تشغله، وإنما انشغلت أيضا بالمسكوت عنه، وبالتطورات التى تجرى فى صمت والتى قد تفاجئنا بواقع جديد وبأوضاع جديدة يتعين علينا التعامل معها. ويستند المنظور الجديد الذى سعيت لتطويره من خلال المقالات إلى عدد من الفرضيات التى حرصت على اختبارها، كلما تيسر ذلك، من خلال نقاشات مع وجهات النظر المختلفة بشأن هذا الصراع الذى أصبح شاغلاً للجميع فى المنطقة وخارجها. ولم أتناول بعد بالتفصيل بعض تلك الفرضيات.

نهجان لإدارة الصراع

أولى هذه الفرضيات يتعلق بإمكانية وفرص تحقيق مصالحة بين نهجين لإدارة الصراع مع إسرائيل، تبلورا قبل طوفان الأقصى، مباشرة، فى محورين متنافسين دوما، ومتصارعين أحيانا، هما: محور أنصار التسوية السياسية والسعى لإدماج إسرائيل فى المنطقة من خلال تطبيع العلاقات معها. وحقق تقدماً فى مساحات جديدة بعد توقيع الاتفاقيات الإبراهيمية فى الأسابيع الأخيرة فى ولاية الرئيس الجمهورى دونالد ترامب فى عام ٢٠٢٠. المحور الثانى هو محور المقاومة والذى تقوده إيران. تستند فرضية المصالحة بين النهجين على ضرورة عدم تجاهل المكاسب التى تحققت خلال «عملية السلام» فى الشرق الأوسط، والتى تركز على جهود التسوية السياسية والسلمية، بدءاً بمبادرة الرئيس السادات فى نوفمبر عام ١٩٧٧، وزيارته التاريخية للقدس وخطابه أمام الكنسيت، ثم عملية مدريد للسلام فى عام ١٩٩١-١٩٩٢، برعاية أمريكية فى أعقاب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، واتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣، وأخيراً الاتفاقيات الإبراهيمية، وما تخللها من اتصالات ومفاوضات، لكن الفرضية لا تتجاهل، أيضاً، أهمية استمرار مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، بكل الوسائل المشروعة، وفضح ممارساته وأساليبه، وتصعيد الضغوط الخارجية عليه بتدشين تحالفات دولية إقليمية داعمة للمقاومة.

هناك مخاطر ناجمة عن الصراع بين النهجين واستبعاد أحدهما لصالح الآخر، ومخاطر أخرى ناجمة عن الانحراف بأى من هذين النهجين عن الهدف المتمثل فى إنجاز الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتتويج نضاله وتضحياته من أجل قضيته العادلة، سواء بالتوصل إلى تسويات على حساب هذه الحقوق وعلى حساب الفلسطينيين، أو باستغلال المقاومة المسلحة والقضية الفلسطينية لتحقيق طموحات إقليمية أخرى على حساب الشعب الفلسطينى أيضاً. لقد عانت القضية الفلسطينية كثيراً، منذ حرب عام ١٩٤٨، نتيجة لشعار أنها «قضية العرب المركزية»، الذى حولها إلى موضوع للصراع على السلطة داخل البلدان العربية، أو على النفوذ الإقليمى وكان دافعاً لفرض وصاية على الشعب الفلسطينى وقيادته السياسية وفرض شروط لدعم الكفاح المسلح. وأدى هذا النهج إلى مآس انتهت بطرد المقاومة الفلسطينية من الأردن فى عام ١٩٧٠، ثم من لبنان فى عام ١٩٨٢، ولم يكن أمام القيادة الفلسطينية من بديل سوى استثمار ما أحدثته الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت فى ديسمبر عام ١٩٨٧، لتحقيق مكاسب من خلال التفاوض المباشر. وجرى استغلال المقاومة الفلسطينية، أيضاً، لفرض الهيمنة السورية على لبنان بعد اندلاع الحرب الأهلية فى عام ١٩٧٤، واستغلها الزعيم العراقى البعثى صدام حسين لتبرير احتلاله للكويت عام ١٩٩١، بعد انتهاء حربه التى دارت ثمانى سنوات مع إيران، والتى لم تخل أيضا من مزايدات على القضية الفلسطينية.

وأدى الخلاف بين النهجين إلى انقسام فى العالم العربى بعد زيارة السادات للقدس، قادته جبهة الصمود والتصدى بزعامة العراق وسوريا وبمشاركة سعودية، فى محاولة لعزل مصر عن محيطها العربي، بدعوى رفض نهج التسوية والتمسك بمقررات القمة العربية فى الخرطوم بعد حرب يونيو ١٩٦٧، التى تنص على أنه لا اعتراف بإسرائيل ولا صلح ولا تفاوض معها. واستمر هذا الخلاف حتى منتصف الثمانينات لكنه بدأ يضعف بتأثير من حرب لبنان عام ١٩٨٢ وما أحدثته من نتائج، والحرب العراقية – الإيرانية والدعم المصرى للعراق، واستعادت مصر، خلال الحربين، دورها فى العالم العربى وبدأت تحدث تخلخلا فى جبهة الصمود والتصدى وزعماءها الذين وقفوا عاجزين أمام الاجتياح الإسرائيلى للبنان، والذين لم يحدثوا أى فارق فى ميزان القوة العسكرى مع إسرائيل، واستغلوا قوتهم العسكرية إما لحسم صراعاتهم الداخلية على السلطة أو فى مواجهة خصوم إقليميين آخرين.

والأخطر أن هذا الانقسام هو السبب الجذرى للانقسام الفلسطينى – الفلسطينى الذى وظفته إسرائيل لتحقيق مصالحها ولإدارة الصراع مع الفلسطينيين. وتسبب هذا الخلاف أيضا فى تعطيل وضع سياسات ومقاربات لتطوير تيار فى إسرائيل مرتكز إلى فلسطينى الداخل الذين تطوروا سياسياً للتأثير على المعادلة السياسية داخل إسرائيل وداعم لإنهاء الاحتلال والتوصل لاتفاق مع الفلسطينيين، ونتيجة لذلك تمكن التيار اليمينى المتشدد من السيطرة على السلطة فى إسرائيل وتفكيك معسكر السلام واليسار. وكانت عملية طوفان الأقصى بمثابة رصاصة الرحمة التى أطلقت على ما كان يعرف بالحمائم أو معسكر السلام فى إسرائيل، والذى كان يحتضر بفعل الضربات المتلاحقة من قوى اليمين عقب انتعاشه بعد اتفاقية أوسلو. ولا نعرف بعد ما هو مصير الجماعات اليهودية الكثيرة التى نشأت نتيجة للتعايش اليهودى العربى والمناهضة للاحتلال والسياسات التوسعية وممارسات الاحتلال فى الضفة الغربية وغزة، وكانت هذه الجماعات التى تقدر بالعشرات مصدرا رئيسيا للمعلومات عن الانتهاكات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة، ولعب بعضها، مثل منظمة «بتسيلم»، دوراً فى مقاطعة منتجات المستوطنات فى دول الاتحاد الأوروبي، من خلال القوائم التى تصدرها وتوزعها على دوله.

أشار مراقبون إلى أن أحد الدوافع الرئيسية المحتملة لهجوم طوفان الأقصى هو إحباط توسع الاتفاقيات الإبراهيمية لتشمل السعودية، وذهب البعض إلى تصويرها كما لو كانت جزءاً من خطة إيرانية لإحباط هذا النهج ولردع الدول الخليجية التى أبرمت اتفاقيات مع إسرائيل، رغم رسائل وردت من طهران بأنها لا تمانع فى تركيز هذه الاتفاقيات على العلاقات الاقتصادية، رغم إدانتها، وعلى ألا تستخدم لتشكيل محور إقليمى مناهض لها. لا خلاف على أن هذه الاتفاقيات التى سارت وفق منهج نتنياهو المرتكز على فكرة «السلام مقابل السلام»، بدلا من فكرة «الأرض مقابل السلام»، أثرت على فرص إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية رغم أن هذا الحل أحد الشروط الرئيسية التى وضعتها السعودية لإبرام اتفاق تطبيع مع إسرائيل. لكن المخاوف الفلسطينية تزايدت مع بدء التفكير فى مشروعات مثل المشروع الهندى لطريق التجارة الجديد الذى يربط موانئ دول الخليج العربية بموانى إسرائيل عبر طريق برى يمر عبر الأراضى السعودية والأردن.

على الرغم من التعايش بحكم الأمر الواقع بين النهجين، إلا أن غياب حوار بينهما كان له تأثير سلبى على القضية الفلسطينية وعلى تحسين إدارة الصراع مع إسرائيل، ومن شأن هذا الحوار أن يهيئ المجال لتغيير المعادلة الاستراتيجية للصراع فى الشرق الأوسط، بما يفيد دول المنطقة، وربما كان التقارب السعودى الإيراني، الذى بدأ بمبادرة صينية قبل أسابيع من طوفان الأقصى، مقدمة لمثل هذا الحوار، الذى لا يزال ضروريا، لا سيما للتأثيرات فى الترتيبات المتصورة على المستوى الفلسطينى والإقليمى بعد انتهاء الحرب، فضلا عن تأثيره المباشر.

أشرف راضي

المشهد

العدد 336 - السنة الثالثة عشرة - الاثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

وكأني أيتها الملكة من بطنك كالعصفور خرجت
هل عندك شك أنك جزء من ذاتي
وبأني من عينيك سرقت النار
وقمت بأخطر ثوراتي
أيتها الوردة والياقوتة والريحانة والسلطانة والشعبية والشرعية بين جميع الملكات
(نزار قباني)

عام على طوفان الأقصى .. ما وراء حسابات الربح والخسارة

ليست معركة النهاية الفاصلة بل مجرد جولة من جولات الصراع

دخول المسيرات فى معادلة القوة وظهور أنماط جديدة سيكون تأثيرها حاسماً فى المستقبل

مقاربة الحدود

ثانى الفرضيات التى يستند إليها هذا المنظور الجديد اهتم بالكشف عن حدود هذا الصراع، الجغرافية والسياسية، ويرى أن الحدود مقاربة مهمة لفهم الصراع وقواه المحركة. فمن ناحية، تلعب الحدود دوراً مهما فى تطور هذا الصراع وانحساره أو فى توسيع رقعته، وهذه الحدود ليست ثابتة أو جامدة، وإنما متغيرة، تتسع أحياناً، وتضيق فى معظم فترات الصراع لتتكثف على أرض فلسطين المحتلة حيث يدور الصراع بشكل يومي، وبمستويات مختلفة من الحدة والعنف، وحيث تتغير حدوده الجغرافية مع توسع الزحف الاستيطانى بشكل هادئ لترسم واقعاً جديداً يجرى تثبيته، رويداً رويداً. على هذا المستوى نرى صراعا على الحدود وعلى الوجود فى الوقت نفسه.

من ناحية ثانية، أن هذه الحدود لم يجر تثبيتها بشكل رسمي، والتطورات التى تحدث فى الواقع تبدل دائماً الحدود التى تُرسم على الورق. فالحدود التى تشكلت بعد حرب عام ١٩٤٨، من خلال مفاوضات رودس عام ١٩٤٩، لا تتطابق مع الحدود التى رُسمت على الخريطة المرفقة مع قرار التقسيم رقم ١٨١ الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٤٧. وتغيرت الحدود التى فرضتها خطوط الهدنة فى عام ١٩٤٩ فى حرب عام ١٩٦٧، باحتلال سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية والقدس الشرقية والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وبإقامة حزام أمنى فى الشريط الحدودى فى جنوب لبنان بعد حرب عام ١٩٨٢. وأعيد ترسيم هذه الحدود مرة أخرى بموجب مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل فى أعقاب حرب أكتوبر، وانسحاب إسرائيل من سيناء، وبموجب اتفاقيات أوسلو التى رسمت خريطة منحت للسلطة الفلسطينية أريحا فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم القرار الذى اتخذه رئيس الوزراء العمالى إيهود باراك من جانب واحد بالانسحاب من جنوب لبنان فى عام ٢٠٠٠، بسبب ضربات المقاومة الفلسطينية والشيعية، وهو الانسحاب الذى عزز من نفوذ حزب الله، ثم انسحابها من جانب واحد أيضا من قطاع غزة فى عام ٢٠٠٥، فى عهد رئيس الوزراء الليكودى أرئيل شارون، وهو الانسحاب الذى عزز من نفوذ حماس فى القطاع.

ترتبط مقاربة الحدود أيضا بحدود التحرك العسكرى الإسرائيلى فى المنطقة وتهديداتها المتكررة أنها ستتعامل مع أى خطر يهددها فى أى دولة فى المنطقة، وأيضا بالحدود التى يمكن أن يصل إليها نشاط المقاومة الفلسطينية والقوى الداعمة لها، والتى كانت أحد الأسباب الرئيسية لظاهرة الإرهاب الدولي، خصوصاً بعد عملية ميونيخ التى استهدفت أعضاء البعثة الرياضية المشاركين فى دورة الألعاب الصيفية المقامة فى المدينة الألمانية فى صيف عام ١٩٧٢، واستهداف بعثات دبلوماسية إسرائيلية ومصالح إسرائيلية ويهودية فى مناطق مختلفة فى العالم، والتى أدت أحياناً إلى اشتباكات ومعارك فى مطارات فى أفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط بين المقاتلين الفلسطينيين والوحدات الإسرائيلية الخاصة. أيضاً لم تعرف إسرائيل حدوداً فى حربها ضد الفلسطينيين وخصومها وضد أى تهديد لأمنها، فضربت المفاعل النووى فى العراق، وتشن غارات مستمرة على مقاتلين يهددونها فى سوريا واليمن ولبنان، وشنت أكثر من عدوان على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس وفى الجزائر، علاوة على العمليات المتكررة التى استهدفت الداخل الإيراني، كان أحدثها اغتيال إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسى لحماس فى مقر إقامته بطهران.

وعلى الرغم من إعلان الرئيس السادات فى خطابه أمام الكنسيت فى ١٩٧٧ أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب، ومن الثابت إلى الآن أنها كانت فقط آخر حرب دارت بين جيوش نظامية وبين الجيش الإسرائيلي، لكن تبعتها حروب أخرى خاضها الجيش الإسرائيلى ضد تنظيمات فلسطينية مسلحة فى الضفة الغربية وفى غزة وفى لبنان، وامتدت إلى اليمن ضد الحوثيين فى جنوب البحر الأحمر ومع حزب الله فى لبنان فى عام ٢٠٠٦، وقد أحدثت هذه الحروب جميعا تغييرات جذرية، وتشير الحرب الراهنة إلى احتمالات لأن تشهد المنطقة حروبا أخرى بين الجيش الإسرائيلى وجيوش نظامية، ربما تكون بدايتها فى تصعيد المواجهة العسكرية مع إيران ولا أحد يعلم أين يمكن أن تقف حدود هذه الحرب، فى ضوء الحشود العسكرية وتقاطعات المصالح الإقليمية والدولية، واستهداف مصالح للقوى الداعمة لإسرائيل فى المنطقة وخارجها.

ثمة نقطة أخيرة متعلقة بالحدود، تتصل بالقوى المنخرطة والمشاركة فى الصراع، وتتلاشى نتيجة لهذه القوى الحدود الجغرافية لتفتح الباب أمام نوع آخر من الحدود يتصل بالحدود السكانية والبشرية. فعلى الرغم من صمت الشارع العربى على ما ترتكبه إسرائيل من فظائع ضد المدنيين فى غزة وفى لبنان وفى سوريا، إلا أن هذه الفظائع ستؤدى على الأرجح فى لحظة ما إلى انفجارات جماهيرية واسعة فى البلدان العربية إذا لم تتمكن القوى الدولية من كبح جماح اليمين المتطرف فى إسرائيل. ويتصل بهذه النقطة الميل المتكررلتصاعد المواجهات المسلحة التى تندلع فى خضم هذا الصراع مع تورط قوى عالمية كبرى واحتمال حرب عالمية نتيجة لذلك من الصعب التنبؤ بحدودها ومساراتها. إن رفع حالة التأهب النووى بين القوى الكبرى فى حرب ١٩٧٣، وكذلك الحديث المتكرر منذ بدء الحرب فى غزة عن احتمالات نشوب حرب عالمية ثالثة من المرجح أن تكون حربا نووية مدمرة لمناطق كثيرة فى العالم نتيجة تدخل القوى الكبرى من أجل حسم الصراع لصالح أى من طرفيه، يشير إلى مدى مركزية هذا الصراع وخطورته، ويزيد من الضغوط على القوى الدولية لكبحه لمنع تصاعده إلى مواجهة عالمية شاملة.

التسوية المرحلية والحل التاريخي

الفرضية الثالثة للمنظور الجديد ترتبط بمحدودية فرص التوصل إلى حل تاريخى للصراع، مع وجود إمكانية للتوصل إلى تسويات مرحلية تؤدى إلى تحولات استراتيجية قد تفتح الباب أمام احتمالات مختلفة لمثل هذه التسوية التاريخية، إذ شهد الصراع منذ حرب ١٩٤٨، تحولات استراتيجية كشفت الحدود الممكنة لتصورات الأطراف، ففى كل الحروب التى نشبت مع إسرائيل، اختلفت دائماً حسابات الحقل عن حسابات البيدر. فحرب ١٩٤٨ التى شاركت فيها جيوش أربع دول عربية انتهت إلى حدود أقيمت وفق خطوط الهدنة التى جرى تثبيتها فى اتفاقيات رودس، ودولياً من خلال القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن الدولى فى أعقاب حرب ١٩٦٧، والذى دعا إلى انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو، وأكدتها القرارات الأممية اللاحقة. وأثبتت هذه القرارات أن النيران هى التى رسمت الحدود بين إسرائيل وبين الأطراف العربية، وليست القرارات الدولية ولا الأطماع الإسرائيلية أو الطموحات العربية.

استندت استراتيجية القوى الاستعمارية الكبرى تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية وحرب ١٩٤٨، إلى عدة مرتكزات لحماية المصالح الغربية فى المنطقة التى تشكلت الخريطة السياسية لبلدانها فى الفترة التالية للحرب العالمية الأولى مباشرة. أولى هذه المرتكزات هى حماية وجود إسرائيل وأمنها، من خلال ضمان تفوقها العسكرى على أى تحالف محتمل من خصومها العرب، وحكمت هذه المرتكزات التى ورثتها الولايات المتحدة الأمريكية، الميزان العسكرى فى المنطقة منذ خمسينات القرن الماضي، إلا أن المنطقة شهدت فى السنوات الماضية تحولات استراتيجية ارتبطت بالتحولات الدولية، ساهمت فى تعديل ميزان القوة الشاملة فى مواجهة إسرائيل وحلفائها. كما طرأت تغيرات جذرية على مفهوم الحرب وأساليب إدارة الصراع، أثرت فى المسارات المرسومة للصراع من قبل أطرافه الفاعلة، على نحو أثبت إلى حد كبير ارتباط قرار الحرب والسلام بالتحولات السياسية الداخلية من ناحية، وبالتحولات فى النظام الدولى الذى يشكل سقفا لما يمكن أن يصل إليه الصراع من ناحية أخرى.

ثمة شيء ثابت على الرغم من هذه التحولات، هو غلبة منطق إدارة الصراع على منطق حسمه أو حله. وصدرت تقارير فى عام ١٩٩٢، مواكبة لانعقاد مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط فى أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩١، أشارت إلى أن الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس جورج بوش الأب، لا تعمل على حل هذا الصراع وإنما تعمل على استمراره وتعزيز قدرتها على إدارته، رغم الضغوط غير المسبوقة التى مارستها على رئيس الوزراء الإسرائيلى المتشدد اسحق شامير للمشاركة فى المؤتمر الذى دعت إليه واشنطن كمحاولة لحل الصراع الرئيسى فى المنطقة، أملاً فى التوصل إلى ترتيبات أكثر استقرارا لأمن المنطقة. لكن ليس من الواضح إذا كان هذا نابعا من رغبة أمريكية لاستمرار الصراع الذى يحقق مصالحها، أم أنه ناتج عن إقرارها بحقيقة أن هذا الصراع يستعصى على الحل؟

من الثابت من تحليل سياسات القوى الكبرى تجاه هذا الصراع أنه يجرى استغلاله لتحقيق مصالح قد تكون متعارضة لهذه القوى، وتشير دراسات تاريخية موثقة إلى الدور الذى لعبته فرنسا فى تعزيز القدرة العسكرية للعصابات الصهيونية فى فلسطين تحت الانتداب، لزعزعة النفوذ البريطانى فى فلسطين والأردن ومن أجل تعزيز هيمنتها الاستعمارية على منطقة الشام، وهو الدور الذى استمر بعد قيام إسرائيل، إذ كانت فرنسا هى الداعم الرئيسى للدولة الوليدة استراتيجياً وعسكرياً، ومن الثابت أيضاً أن فرنسا هى من دعمت البرنامج النووى الإسرائيلي، وكانت إسرائيل شريكة لها ولبريطانيا فى العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ والتى عارضتها الولايات المتحدة. ولم تسمح الإرادات المتصارعة فى المنطقة وتوازن القوى السائد بالوصول إلى لحظة تتمكن فيها أى من هذه القوى من حسم الصراع لمصلحتها، ولم تمتلك القيادات الشجاعة للإقدام على اتخاذ قرارات مصيرية قد تغير معادلته، والقتل قد يكون مصيرها إذا فعلت ذلك كما يتضح من مصير الرئيس السادات ومصير رابين.

احتمالات استمرار الحرب وتوسعها إقليمياً قائم وهو ما تسعى إليه قيادة حماس

يُزيد من تعقيد الصراع وعدم القدرة على اتخاذ قرارات تستجيب للتحولات فى البيئة الاستراتيجية الدولية والبيئة السياسية الداخلية، تعدد اللاعبين المنخرطين فى الصراع وانخراط أطراف من غير الدول فيه، بظهور جماعات المقاومة المسلحة من الفلسطينيين وفى دول أخرى ودخول لاعبين آخرين من المنطقة نتيجة لدوافع دينية وعقائدية، الأمر الذى أضاف تعقيداً على ميزان القوة الذى يضمن أمن إسرائيل، وتشابك قضايا المنطقة مع هذا الصراع حسبما كشفت المفاوضات الخاصة بالبرنامج النووى الإيرانى وقدراتها الصاروخية والعسكرية. كذلك أثرّت التحولات فى أساليب الحرب، على ميزان القوى مع انخراط جماعات مسلحة غير الجيوش النظامية ودخول المسيرات والصواريخ فى معادلة القوة، وظهور أنماط جديدة مثل الحروب منخفضة الشدة وحرب العصابات والحروب غير المتكافئة، والتى أكدت الحرب الراهنة أن تأثيرها سيكون حاسماً فى المستقبل خصوصاً إذا ما ساهمت فى تعزيز الردع. ورغم تلك التغيرات، يظل نمط الاستراتيجية المتبعة، وما إذا كانت دفاعية أم هجومية، هو المسألة الحاسمة. ومن الملاحظ، حدوث توسع فى الانتقال من الدفاع إلى الهجوم أو من الهجوم على الدفاع، إذ بات هذا الانتقال سمة مشتركة للمنخرطين فى الصراع، فلم يعد هناك طرف يتبنى استراتيجية دفاعية طول الوقت، كما أن الدفاع لا يقتصر فقط على الحروب والصراعات المسلحة وإنما يمتد إلى الأدوات التى تستخدمها الدول وفى مقدمتها الوسائل السياسية والدبلوماسية.

التناقضات الحاكمة للصراع وآفاق التحرر العالمي

الفرضية الرابعة والأخيرة تتعلق بضرورة التحليل المستمر للتناقضات الحاكمة للصراع والتى تشهد تغيرات مستمرة لارتباط كثير منها بالتناقضات الداخلية والتناقضات الإقليمية. والملاحظ هنا أنه لم يعُد هناك ثبات فيما يعد تناقضاً رئيسياً وفيما يعد تناقضات ثانوية، إذ تختلف رؤية هذه التناقضات بالرؤى الأيديولوجية للأطراف المختلفة وبالتصورات للصراع. ويساعد تحليل التناقضات فى تحديد طبيعة الصراع وفرص حله أو تسويته. وعلى الرغم من وجود توافق دولى عام على أن حل الدولتين هو أساس تسوية الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، إلا أن هذا فرص هذا الحل كانت تتآكل نتيجة لسياسات الاستيطان الإسرائيلية التى تقلص مساحة الأرض التى ستقام عليها الدولة الفلسطينية المنشودة، فضلا عن عدم وجود تواصل جغرافى بين الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أظهر موقف إدارة ترامب (٢٠١٦-٢٠٢٠)، أن الالتزام الدولى بهذا الحل قابل للتغير، لصالح حل الدولة الواحدة، كذلك أثرت هذه الحرب على موقف القوى المختلفة فى إسرائيل وتعزيز رفضه مهما تكن الضغوط الدولية.

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية، هى أول من وضع حل الدولة الديمقراطية الواحدة، كأحد الحلول المتصورة للصراع فى عام ١٩٧٤، لكن هذا التصور قوبل بمعارضة من الأحزاب الصهيونية الرئيسية التى تتمسك بفكرة أن إسرائيل دولة يهودية، والتى تخشى من تعاظم القوة النسبية للفلسطينيين الذى سيتفوقون ديموجرافياً على السكان اليهود، الأمر الذى دفعهم إلى قبول حل الدولتين لضمان النقاء اليهودى للدولة، وهذه المخاوف هى السبب الرئيسى الذى دفع القيادات فى إسرائيل إلى عدم الإقدام على ضم الضفة الغربية وشجعتهم على الانسحاب من قطاع غزة، وقبول تسوية تقوم على حل الدولتين، الذى يحقق الفصل بين الجماعتين القوميتين، اليهودية الإسرائيلية والفلسطينية العربية. غير أن تطور النظام السياسى فى إسرائيل ومنح حقوق مواطنة للفلسطينيين الذين بقوا فى حدود الدولة التى أقيمت بعد حرب ١٩٤٨، بعد فرض الجنسية الإسرائيلية، وتطورهم نتيجة لانخراطهم فى الحياة السياسية للدولة، كشف عن مسار آخر لتطور الدولة فى اتجاه الدولة ثنائية القومية، وقد ترتب على هذه التجربة بروز تناقض فى المصالح بين الأقلية الفلسطينية فى الداخل وبين فلسطينيى الضفة الغربية وغزة، رغم التضامن مع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وأصبح هناك نوع من التماهى مع مصالح الدولة الإسرائيلية فى الحرب الراهنة ضد حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية فى غزة وحزب الله فى جنوب لبنان.

كذلك أصبح التناقض بين السنة والشيعة، والتناقض بين نظم الحكم فى كثير من الدول العربية وبين تيارات الإسلام السياسى بصيغتيه السنية والشيعية تناقضاً رئيسياً يسبق التناقض مع إسرائيل ومشروعها فى المنطقة، وبات هذا التناقض عاملاً رئيسياً فى تشكيل مواقف أطراف عربية رسمية وغير رسمية فى الحرب التى أطلقت عملية «طوفان الأقصى» شرارتها، ومن المحتمل أن تؤدى هذه المواقف إلى تحالفات جديدة ناشئة لكن لم تتبلور شروطها الموضوعية بعد، لكن تعمل قوى كثيرة على إنضاجها. ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى كشفته الحرب، إذ كشفت عن تناقض آخر ناشئ داخل إسرائيل قبل الحرب، ومستمر على ما يبدو، ولم يساعد الخطر المتصور الذى تشكله حماس وحزب الله على التخفيف من حدته، ويرى إيلان بابيه، أحد أبرز تيار المؤرخين الجدد اليهود، والمعادى للصهيونية والداعم للحقوق الفلسطينية، أنه تناقض بين «دولة يهوذا»، التى تريد أن تكون إسرائيل أكثر تديناً وتعصباً وتسعى لفرض حكم ثيوقراطي، وبين «دولة إسرائيل» التى يدافع عنها الإسرائيليون الأكثر علمانية، والتى تستند إلى قوانين أساسية تتماشى مع دساتير الدول الديمقراطية، والتى سعت حكومة نتنياهو إلى الانقلاب عليها، مما تسبب فى احتدام الصراعات الداخلية التى كانت تتصاعد قبل «طوفان الأقصى»، ويستبعد بابيه، أن يؤدى حسم الصراع الداخلى لصالح إسرائيل الديمقراطية إلى تغيير موقف اليهود من الفلسطينيين، أو من السياسات الاستعمارية تجاههم، وأن الطريق الوحيد لتغيير هذه الموقف والسياسات هو الضغط الخارجى على إسرائيل.

على الرغم من أن هذا الاحتمال كان بعيداً، على ما يبدو، فى ضوء الدعم الدولى الذى حظيت به إسرائيل فى بداية الحرب، رغم الجرائم البشعة التى ارتكبتها ضد المدنيين الفلسطينيين، إلا أن القوى الدولية الداعمة لإسرائيل، بما فى ذلك الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين وضعت قيوداً على الطموحات الإسرائيلية والأهداف العليا التى كانت تسعى لتحقيقها خلال الحرب، وفى مقدمتها تنفيذ سيناريو تهجير الفلسطينيين من غزة إلى سيناء المصرية، رغم تأييد البعض فى هذه الدول لمثل هذا الحل على أنه يوفر حلا مستداما لمشكلة غزة، ومن المحتمل أن تضطر هذه القوى إلى زيادة الضغط على حكومة نتنياهو لوقف الحرب، لكن من شأن هذه الضغوط أن تشجع المزيد من القوى التى تسعى للقضاء على إسرائيل إلى التشدد، الأمر الذى يزيد من فرص القوى الأكثر تشدداً فى إسرائيل، وبالتالى يزيد من احتمالات استمرار الحرب وتوسعها إقليمياً، وهو ما تسعى إليه قيادة حماس من أجل تكثيف الضغوط الخارجية على إسرائيل على نحو يؤدى إلى انهيار تماسكها الداخلي، وما ينطوى عليه ذلك من احتمالات لتغييرات.

بقلم: أشرف راضي

إسماعيل عليه السلام فى التوراة (٢)

د. عبدالكريم الحجراوي

يحكى سفر التكوين عن هروب السيدة هاجر المصرية من السيدة سارة بسبب التعذيب الذى تعرضت له، لكن ملاك الرب يتلقى هاجر فى طريق هروبها ويطلب منها العودة قائلًا «عُودى إلى مولاتك واخضعى لها» ويبشرها بأنه سيكثر نسلها «لأكثرن نسلك فلا يعود يحصى» ويخبرها ملاك الرب أنها ستلد ولدًا وسيكون اسمه «إسماعيل» أى الله يسمع لأن الرب سمع صوت شقائك.

تواصل التوراة رسم صورة لهذا الطفل الذى ستنجبه بأنه سيكون - أى إسماعيل - إنسانًا وحشيًّا يعادى الجميع والجميع يعادونه، ويعيش مستوحشًا متحديًّا كل إخوته.

ويلاحظ فى هذه النبوءة التوراتية تشويهها المتعمد لإسماعيل عليه السلام وصفه بالوحشية والعنف، وما هو ينسحب بالضرورة وفقًا لهذه النبوءة على أبنائه من العرب (المستعربة) نزع للإنسانية عنهم يسهل من عمليات الإبادة ضدهم كلما سنحت لهم الفرصة لفعل ذلك.

كما أن فى نص التوراة تقليل من شأن إسماعيل بوصفه ابن لخادمة أو جارية مما يحط من شأنه أمام إسحاق ابن سارة «عُودى إلى مولاتك واخضعى لها». فإذا كان ليس بإمكان اليهود إنكار أبوه إبراهيم لإسماعيل؛ نجدهم يضعونه فى مرتبة أدنى بشكل عنصرى فج ويوصف بالوحشية لكى يجرد من كل صفات الإنسانية، وهذه التشويه لأنبياء الله ليس بغريب على النص التوراتى الموجود حاليًّا.

وتشير بعض المصادر إلى أن هناك تحريفا جرى فى ترجمة النص العبرى حول نبوءة إسماعيل فبدلًا من أن تترجم بأن إسماعيل «سيكون إنسانًا قويًّا» ترجمت بأنه سيكون «إنسانًا وحشيًّا» ولعلك تلاحظ معى عدم التجانس والتناقض بين الإنسانية والوحشية، فكلمة إنسان مشتقة من الأنس ومن الونس لإيناس البشر للأرض. فيما كلمة وحشى تدل على التوحش والنفور، فمن الممكن من الممكن أن يكون الشخص إنسانًا وفى الوقت ذاته قويًّا، بينما التوحش والإنسانية لا يجتمعان.

ينتقل سفر التكوين بعد ذلك إلى أن مولد إسماعيل عليه السلام جاء وإبراهيم عليه السلام فى عمر السادسة والثمانين، ويخبر الله إبراهيم حسبما هو فى التوراة أن ابنه إسماعيل سيكون ولدًا مباركًا «أما إسماعيل فقد استجبت لطلبتك من أجله، سأباركه حقًّا، وأجعله مثمرًا، وأكثر ذريته جدًا، فيكون أبًا لأثنى عشر رئيسًا، ويصبح أمة كبيرة»، لا ينسى سفر التكوين التأكيد رغم هذه المباركة لإسماعيل أن تشير إلى تفضيل إسحاق عليه «غير أن عهدى أبرمه مع إسحاق الذى تنجبه لك سارة فى مثل هذا الوقت من العام من السنة القادمة». وامتثالا لأوامر الله يقوم سيدنا إبراهيم فى التاسعة والتسعين من عمره بختان نفسه وابنه إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة.

قالت العرب

وليس بحاكمٍ مَنْ لا يُبالي،
أأخطأ في الحكومة أم أصابا
وإن لكل تلخيص لوجها،
وإن لكل مسألة جوابا
وإن لكل حادثة لوقتا؛
وإن لكل ذي عَمَلٍ حِسابا
(أبو العتاهية)

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة -الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

الباحث والكاتب «ريكارد جوزاليس» يتحدث عن أول إضراب عام وأكبر مظاهرة فى كاتالونيا:

برشلونة مع فلسطين ورياح 7 أكتوبر

خرجت فى برشلونة عاصمة إقليم "كتالونيا" بإسبانيا، قبل أيام من حلول الذكرى السنوية الأولى "لطوفان الأقصى"، مظاهرة تضامن غير مسبوقة مع فلسطين ولبنان. وهذا على خلاف ما لحق بشهرة "ميسي" نجم فريق نادى "برشلونة" لكرة القدم فى ذروة تألقه وشعبيته، وحتى بين جمهور كرة القدم بالعالم العربي، كونه مؤيدا لإسرائيل واعتاد زيارتها وامتداحها.

على عكس كل هذا، والذى لم يمنع انقساما دام لعقود بين جمهور الكرة من المحيط للخليج بين ميسى / برشلونة ورونالدو / ريال مدريد، حضرت برشلونة يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤ بعشرات الألوف فى أكبر ميادينها بعد تنفيذ إضراب عام بمختلف مستويات مدارسها وبجامعاتها، وكأنها موحدة إلا قليلا إلى جانب فلسطين ومعاناة شعبها ونضاله من أجل الحرية والاستقلال والحياة.

بمرور العام الأول على هجوم طوفان الأقصى وشن إسرائيل حرب الإبادة على غزة تختلف التقديرات حول السؤال :

. إلى أى مدى أسهم الهجوم المقاوم المسلح غير المسبوق فى تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربى الصهيوني، ومنذ ١٩٤٨ على الأقل، فى تغيير الرأى العام عالميا إزاء أطراف الصراع وسردياته، وفى إدراك حقائقها التاريخية ولليوم، وبخاصة فى الغرب الأوروبى الذى بدأت منه حكاية الصهيونية، وعقدة اضطهاد اليهود، والترويج صهيونيا لحق مزعوم فى إقامة دولة يهودية ولليهود على أساس الدين والأساطير الدينية القومية الاستعمارية على أرض فلسطين وعلى حساب شعبها ومعه حريات وحقوق وأمن شعوب المنطقة.

صباح ٢٧سبتمبر ٢٠٢٤، شهد إقليم كتالونيا، الذى يشتهر بعاصمته برشلونة وفريق كرة القدم العالمي، إضرابا عاما للتضامن مع الشعب الفلسطينى وللمطالبة بوقف حرب الإبادة على غزة انطلق من المدارس والجامعات. وتوج هذا اليوم غير المسبوق فى علاقة كتالونيا بالصراع بعد سلسلة مظاهرات بمدن عديدة، مظاهرة كبرى فى برشلونة، قدرها بعدها "ريكارد جوانزليس" البروفسير والكاتب المتخصص فى شئون الشرق الأوسط ومراسل "البابيس" السابق فى تونس ومصر بالأكبر، وقال أنها ضمت نحو ٥٠ ألفا.

فى هذا الحوار، محاولة لرسم الخطوط العامة لتأثير طوفان الأقصى وتداعياته على المسرح العالمي، من بوابة "برشلونة"، مع محاولة لمعرفة وفهم تفاعل أهل كتالونيا تاريخيا ولليوم مع قضية فلسطين.

مظاهرة ٢٧ سبتمبر

●كيف تقدر عدد المشاركين فى المظاهرة الأخيرة ببرشلونة ؟

. أنا متاكد أنها الأكبر منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ ، والصحافة هنا تناقلت أرقاما للمشاركين بين ٤٠ و٥٠ ألفا. وربما هى أكبر مظاهرة على الإطلاق تعرفها كتالونيا من أجل القضية الفلسطينية.

وحقيقة هذا التصور عندى لأننى أعرف وكنت شاهدا على مثل هذه المظاهرات على مدى ثلاثة عقود من تاريخ الصراع، و لا أعرف عما قبل وبشأن ما جرى فى شوارع وميادين كتالونيا إزاء صراع ممتد منذ مايزيد على السبعين سنة.

ولكننى أرى أن يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤ هو الأكبر هنا، ولأن التطوارت الأخيرة فى فلسطين والشرق الأوسط هى الأخطر منذ عقود.

● ومن هم الذين شاركوا فى مظاهرة ٢٧ سبتمبر ؟

. كان بها ممثلون ومنظمون من نقابات عمالية وطلابية وأحزاب يسارية، فضلا عن منظمات تمثل الجالية الفلسطينية فى كتالونيا. وفى الإقليم الآن أعداد كبيرة من المهاجرين جاءوا من مختلف البلدان العربية مقارنة بما كان منذ نحو ٣٠ سنة، وبينهم عمال، وأيضا مهنيون محترفون من ذوى الخبرات والكفاءات يعملون فى صناعات متقدمة وشركات كبرى ، وهم دوما يشاركون فى مثل هذه الفعاليات.

● ما الذى يختلف فى مظاهرة ٢٧ سبتمبر الكبرى ببرشلونة هذه المرة عن سابقاتها هنا؟

. هذه المرة ارتفعت أعلام لبنان إلى جانب أعلام فلسطين، وهذا نظرا لأحداث الأيام الأخيرة (فى إشارة من ريكارد إلى مجزرة تفجير آلاف أجهزة النداء الآلى البيجر ثم اللاسلكي. و كلماته هنا جاءت قبل ساعات من الهجوم الأعنف على مقر حزب الله بالضاحية الجنوبية يوم المظاهرة الجمعة)

نقطة تحول بعد طوفان الأقصى

●ما الجديد فى علاقة الناس بكتالونيا بعد طوفان الأقصى، ومتى ظهر التعبير جماعيا وفى الفضاءات العامة عن هذا الجديد؟

. أنا أعتقد أن هذا الجديد ظهر بعد نحو شهرين أو ثلاثة من طوفان الأقصى. وهذا عندما أدرك الناس هنا بأن رد الفعل الإسرائيلى على هجوم طوفان الأقصى غير متناسب فى قوته، وأنها ذهبت بعيدا و بقوة وعنف غير مقبولين.

وفى الوقت الذى أصبحت إسرائيل تحت طائلة الاتهام بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية على صعيد عالمي، وهنا وعلى نحو خاص، أصبح الرأى العام فى كتالونيا أكثر وعيا بما يجرى. وبالتالى أكثر تضامنا وتعبيرا عن التضامن مع فلسطين.

وهكذا كانت أول المظاهرات الكبيرة مع فلسطين فى برشلونة بعد نحو شهرين أو ثلاثة أشهر من طوفان الأقصى، وبعدما اتضح أن إسرائيل تريد تدمير كل غزة، وليس معاقبة "حماس" وحدها كما تقول أو تدعى. و بعدما اتضح كذلك أن القوات الإسرائيلية لاتفرق بين المقاتلين والمدنيين. وهكذا عرف الكتالونيين أن إسرائيل دولة إجرامية.

●وكيف تطور الوعى هنا إزاء الدعم الأمريكى لإسرائيل؟

. هناك غضب أيضا تجاه أمريكا لأنها تسمح بالإبادة الجماعية واستمرارها. هذا الغضب من قبل كان محدودا. ولكن عندما اخذت جنوب إفريقيا المبادرة فى رفع الدعوى القضائية ضد الإبادة أمام محكمة العدل الدولية حدث تحول فى اتجاه المزيد من الغضب ضد واشنطن.

عودة لسنوات الخمسينيات ولثلاثة عقود

●ما الفارق الذى تراه بين الأجيال القديمة والجديدة هنا بشأن الموقف والوعى إزاء القضية الفلسطينية، وبخاصة أن كتالونيا نفسها إقليم يسعى لتقرير المصير، وواجه عقبات ومعارضة من إسبانيا؟

. فى بلدان كثيرة خلال الخمسينينات والستينيات، وبخاصة فى الغرب، كان الرأى العام فى الأغلب ينظر إلى إسرائيل كبلد صغير محاط بدول أكبر منه تصارعه وتحاربه: مصر و العراق وسورية. كان الاعتقاد بأن إسرائيل بلد صغير محاصر من أعدائه.

وإلى تلك السنوات ، اعتبر الشباب فى كتالونيا أن هناك تشابها بين وطنهم الكتالونى وبين إسرائيل، ولأن كتالونيا صغيرة أيضا وتكافح ضد إسبانيا، وكذا فرنسا وحيث كان هناك جزء صغير من الإقليم محتل بجنودها. وهذه دول كبرى يناضل ضدها أهل البلد هنا من أجل الاستقلال.

لكن ما حدث بمضى الوقت اكتشف الكتالونيين وأدركوا وتكون لديهم الوعى بأن إسرائيل عندها الدعم الأمريكي، وهى الدولة الأقوى فى الشرق الأوسط.

وأظن أن حرب ١٩٦٧ كانت نقطة التحول، لأنها أوضحت قوة التحالف بين أمريكا وإسرائيل. وقبلها لم يكن هذا واضحا لدى الناس هنا، وبهذا الشكل والوضوح.

فعلا قبل ٦٧ لم يكن يدرك الكتالونيين أن إسرائيل هى صاحبة الهيمنة فى المنطقة. وبالطبع بعد هذه الحرب ومع عقد السبعينيات تغير هذا الرأي.

ثم جاءت نقطة تحول أخرى لاتقل أهمية فى إعادة صياغة الرأى العام فى كتالونيا، وهو الانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت فى ديسمبر ١٩٨٧. واعتبارا من الثمانينات والتسعينيات رأى الشباب الكتالوني، وأنا كنت بينهم مازلت شابا صغيرا، أن الشعب المحروم من حق تقرير المصير فى الشرق الأوسط هو الشعب الفلسطيني. وتماما مثل حالنا فى كتالونيا ، وليس إسرائيل التى لها دولة منذ ١٩٤٨.

هنا وفى هذه السنوات تآكل، ثم سقط ما كان سابقا من تعاطف مع الإسرائيليين، وبزعم أنهم يطالبون بحق تقرير المصير مثلنا فى كتالونيا.

و فى هذا التوقيت وبفضل تفاعلات الانتفاضة الفلسطينية وتأثيراتها على المسرح العالمى تخلصنا من هذا الربط السابق بين كفاحنا من أجل تقرير المصير والاستقلال عن مدريد وبين كفاح الصهيونية كى يقرر اليهود مصيرهم وبإقامة دولة على أرض فلسطين والحفاظ عليها.

تنظيمات قادت تغيير الوعي

●دعنا ننتقل لنحدد أكثر هل كانت هناك تنظيمات بكتالونيا على الأرض وتعمل بين الناس قادت وأسهمت فى تغيير هذا الوعى ؟ وما هى أبرزها؟

. ظهرت آنذاك حركات متعاطفة مع فلسطين من اليسار الكتالونى وبين شباب الجامعات. ومثلا كان للحزب الشيوعى الكتالونى (الباسوك)، والذى تحول لاحقا إلى اسم "الحزب الإشتراكى الموحد لكتالونيا" إسهام فى هذا التحول نحو التضامن مع الشعب الفلسطينى وقضيته.

وأهمية هذا الحزب تتمثل فى دوره التاريخى المهم خلال الحرب الأهلية بإسبانيا خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ضد "الملكيين" والجنرال "فرانكو". وهذا الحزب ربح أول انتخابات عامة أجريت فى كتالونيا خلال عقد الثمانينيات، بعد وفاة الدكتاتور "فرانكو" عام ١٩٧٥.

كما يجب الانتباه إلى أن حزب "الباسوك" الكتالونى من بين الأحزاب والحركات والتيارات الفكرية والسياسية بالقارة الأوروبية التى انتقدت مبكرا التجربة السوفيتية فى الاشتراكية بروسيا وجوارها والقارة الأوروبية. وتطور الحزب سريعا لينضم إلى تيار الشيوعية الأوروبية. وكانت عنده علاقات تاريخية مع الحزب الشيوعى الإيطالى أبرز علامات الشيوعية الأوروبية فى السبعينيات، وبالأصل هناك علاقات تاريخية مميزة بين إيطاليا وكتالونيا .و كان حزبا شيوعيا تقليديا أو كلاسيكيا، وتحول مع الثمانينيات بوضوح ليصبح حزبا اشتراكيا ديمقراطيا. والحزب منذ وقت مبكر وعبر هذه المسيرة من التحولات كان دائما مع فلسطين.

وعندما نبحث فى التضامن مع فلسطين بكتالونيا يجب أن نشير أيضا إلى أحزاب صغيرة، توصف بالانفصالية و مارست الكفاح المسلح من أجل استقلال كتالونيا.

وأنا هنا أذكر على نحو خاص "ترا ليورا " ومعنى الاسم "الأرض الحرة". وهذا التنظيم المسلح لم يقتل أشخاصا لكنه قام بعمليات توصف "بالتخريب" لنحو ١٥ سنة اعتبارا من ١٩٧٧.

ولا أعرف هل كان له علاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية أثناء اعتماده الكفاح المسلح، ولا أظن بوجود تنسيق عسكرى مع فصائل المنظمة. وهذا على خلاف ماهو معروف عن حركة "الباسك" وعلاقتها القوية مع منظمة التحرير فى تلك الفترة.

وإجمالا يمكننى القول بأن مجموعات الكفاح المسلح بكتالونيا من اجل الاستقلال كانت صغيرة، لكن اليسار الكتالونى المطالب بالانفصال عن إسبانيا بعضوية أكبر لأحزابه وشعبية تنظيماته هم تاريخيا كانوا القوة السياسية الأكبر فى المطالبة بحرية فلسطين.

مع فلسطين فى سياق التسعينيات وأوسلو

● لنتقدم إلى الوعى والتعبير فى كتالونيا عن التضامن مع فلسطين وشعبها وقضيتها خلال عقد التسعينيات.. فماذا تلاحظ وتقول؟

. فى هذا العقد جاء متغير جديد إلى كتالونيا، وأقصد تزايد أعداد الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين. وما أعلم أن أطباء جاءوا إلينا من المشرق العربى بمنحة من الحكومة الإسبانية. وربما لم تكن أعدادهم كبيرة بعد، لكن أنت تعلم ما للطبيب من أهمية اجتماعية لاتصاله مع أعداد كبيرة من الناس.

وفى النصف الثانى من التسعينيات، تدفقت على كتالونيا أعداد ملحوظة من مهاجرى المغرب، بل وكل دول البحر المتوسط. والواقع أنه ١٩٩٦ بدأ استقبال إسبانيا للمهاجرين بكثافة بعدما كانت هى التى ترسل مهاجريها إلى أوروبا.

والآن عندنا نحو نصف مليون مسلم تقريبا كلهم من العرب، وبينهم نسبة لابأس بها من الفلسطينيين.

●كم يقدر عدد الفلسطينيين فى كتالونيا اليوم؟

. ربما ١٥٠٠ فلسطيني، والآن فإن الأغلبية بين المسلمين والعرب فى كتالونيا هم من المغرب.

وبشكل عام أرى أن الجالية العربية وبخاصة من فلسطين لها دور مهم فى المظاهرات الجارية الآن من أجل الحرية والاستقلال ووقف حرب الإبادة على غزة وضد إسرائيل.

● وهل هناك متغيرات تسبب فيها توالى أجيال المهاجرين العرب بكتالونيا ؟

. فى عام ٢٠٠٠ جاء مغاربة للاستقرار فى كتالونيا، والآن أصبح لهم ابناء مولودون فوق أرضها، ويدرسون فى جامعاتها. وهؤلاء لهم دور فعال مؤثر فى المظاهرات ضد حرب الإبادة ضد غزة منذ أكتوبر ٢٠٢٣.

فى هذا السياق، يمكنك سماع شعارات باللغة العربية فى هذه المظاهرات من قبيل :"بالروح بالدم نفديك يافلسطين"، وهو ما أصبح شعارا يألف الكثير من الكتالونيين سماعه اليوم. وهذا لم يكن موجودا فى التسعينيات.

ظل الجنرال فرانكو

●إذا عدنا إلى التاريخ ، وإلى ماهو أبعد، كيف تقيم كباحث فى العلوم السياسية ومتابع لتاريخ إسبانيا وكتالونيا موقف الجنرال فرانكو وحكمه المديد من ثلاثينيات القرن العشرين إلى ١٩٧٥ تجاه القضية الفلسطينية، ومع ملاحظة ان الحكومة الأسبانية اليوم تتخذ مواقف متقدمة فى سياق حرب الإبادة على غزة مقارنة بغيرها من حكومات أوروبية؟

. كان "فرانكو" فاشيا ودكتاتورا، وفى تحالف مع "هتلر" و"موسوليني" خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد هذه الحرب اعتمدت أوروبا سياسة عزل إسبانيا وحصارها . وماحدث أن إسبانيا لم تنضم لعضوية الاتحاد الأوروبى إلا متأخرا وفى العام ١٩٨٦.

والحقيقة أن إسبانيا كانت من آخر دول أوروبا التى اعترفت بإسرائيل، ولاحظ أن هذا حدث أيضا فى العام ١٩٨٦. كان فرانكو خلال حكمه وعزل إسبانيا دوليا يبحث عن بدائل. وعثر عليها ضمن من عثر فى الدول العربية، والتى لم يكن لديها مشكلة فى إقامة علاقات مع دكتاتور. وهكذا تطورت العلاقات بين إسبانيا والعالم العربي. وبسبب هذه العلاقات الرسمية قدمت مدريد منحا لطلاب عرب لدراسة الطب فى جامعاتها.

كما علينا لفهم تفاصيل الصورة فى عهد فرانكو الإشارة إلى أن الناس فى إسبانيا لم يكونوا متعاطفين مع إسرائيل بسبب تفشى "معاداة السامية"، ولأن الدعاية الرسمية زمن فرانكو كانت ضد اليهود، وتعتبر بدورها إسرائيل هى التعبير السياسى عن اليهود والكيان الممثل لهم على المسرح الدولي. أما الموقف فى كتالونيا حينها فكان على خلاف الموقف فى إسبانيا/ مدريد خلال هذه السنوات، وكما أشرت فى السابق.

يمين مع إسرائيل لكن ليس كل اليمين

●هذا يجعلنا نتقدم فى الحوار إلى التعرف على مواقف اليمين فى كتالونيا ولليوم من القضية الفلسطينية؟

. الحقيقة أن ليس كل اليمين فى كتالونيا مع إسرائيل، فقط هو اليمين المتطرف لأنه يكره العرب والمسلمين. وهذا اليمين المتطرف يمثله حزب "فوكس"، وهو مع إسرائيل تماما.

لكن اليمين التقليدى الكلاسيكى سواء فى إسبانيا أو كتالونيا فعنده موقف ناقد من الإباد الجماعية فى غزة. لكن بالطبع ليس مع الفلسطينيين وكفاحهم من أجل الاستقلال وتقرير المصير مائة فى المائة مثل أحزاب اليسار.

هذا اليمين التقليدى الكلاسيكى الأكثر شعبية بين الرأى العام وفى الانتخابات بكتالونيا ظل يدعو، وعلى ضوء تطوارات ما بعد ٧ أكتوبر، إلى اعتراف الحكومة الإسبانية بالدولة الفلسطينية. لكنه يشترط لذلك ويعلقه على أن يكون فى سياق اعتراف كل أوروبا (الاتحاد الأوروبي). ولذا انتقد اليمين التقليدى هذا الصيف اعتراف الحكومة الإسبانية بالدولة الفلسطينية وقال كان يجب ألا يكون هذا الاعتراف خارج موقف جماعى موحد للاتحاد الأوروبى أو يسبقه ويتقدم عليه.

●وماهى أبرز رموز وتنظيمات هذا اليمين التقليدى الكلاسيكى فى كاتالونيا؟

. حزب اسمه "جونتز"، وهى كلمة كتالونية تعنى "معا"، وكان الحزب الرئيسى فى الإقليم سابقا، وخلال آخر موجات المطالبة بالاستقلال قبل حوالى خمسة أعوام.

●هل مطروح على أى نحو اعتراف كتالونيا أو تعاونها مؤسساتيا مع فلسطين؟

. كتالونيا بشكل عام ليس لها سياسة خارجية مستقلة، ولا صوت لها فى المحافل الدولية كى تصوت من أجل فلسطين. فقط ما تستطيع حكومتها المحلية هو تقديم بعض المساعدات الإنسانية والتعاون الدولي.

● وهل هناك تمثيل لإسرائيل فى برشلونة، وشكل من أشكاله لفلسطين؟

. فى برشلونة قنصلية لإسرائيل، وفى مدريد ممثلية لفلسطين، لكن لاتمثيل رسمى بعد هنا فى برشلونة.

●وهذا يعنى أن هذا التضامن الشعبى مع فلسطين وشعبها وقضيتها بكتالونيا، وبلوغه ذروة غير مسبوقة هذه الأيام ، يجرى من دون وجود تمثيل دبلوماسى أو رسمى يحمل اسم فلسطين وعلمها؟

. نعم .. بعد ٧ أكتوبر عرفت كتالونيا حملات جمع تبرعات من أجل غزة، كما توجهت سفينة من شواطئ كتالونيا إلى غزة حاملة مواد إغاثة، وهى تعمل فى مجال إغاثة المهاجرين بالبحر المتوسط وتتبع مؤسسة "سبن آرمز/ أى الأذرع المفتوحة). وأظنها تمكنت من إيصالها، لكننى لا أعرف أو ربما لا أتذكر : أين رست بحمولتها فى غزة أو بميناء إسرائيلي؟

●وماهى أشكال وفعاليات التضامن مع فلسطين الأخرى فى كتالونيا إلى جانب المظاهرات وتنظيم هذا الإضراب غير المسبوق، والذى شمل أيضا وفى ذات اليوم العديد من المؤسسات التعليمية بعموم إسبانيا؟

. جرى ويجرى تنظيم ندوات ومؤتمرات وعروض أفلام فى مراكز ثقافية، وحتى أنا شاركت فى أكثر من مناسبة محاضرا فى ندوات عن أبعاد القضية الفلسطينية، واستضاف جانب منها قصور ثقافة تابعة للدولة، والمعتاد أن يستخدمها المجتمع المدنى كمنصة لإطلاق العديد من أنشطته.

ويوم ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤ كان يوما مميزا لأن الإضراب كما يبدو يشمل كل كتالونيا، وفى سياق اليوم العديد جرى تنظيم العديد من الأنشطة من ندوات وعروض أفلام، وحفلات غذاء تذهب عوائدها المالية لغزة.

●مؤكد أنه الإضراب العام الأول فى العديد من مؤسسات كتالونيا وبخاصة التعليمية من أجل فلسطين ؟

. هذا يقينا الأول منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وهو إضراب عام شمل المدارس بمستوياتها المختلفة والجامعات، وأعتقد هذا مهم أيضا بالنسبة لصياغة وعى الأجيال الجديدة. وأعتقد أيضا أنه الأول فى تاريخ كتالونيا بالمطلق من أجل فلسطين.

● وماهى الهيئات التى دعت لهذا الإضراب ؟

. فى المقدمة يأتى دور النقابات الطلابية والعمالية، وبالتنسيق مع الجالية الفلسطينية بكتالونيا. وبالطبع هو يجرى بدون تنسيق مع أى سلطة أو انتظار إذن منها.

● وهل عرفت جامعات كتالونيا أنشطة تضامنا مع فلسطين تماثل الحركة تحت الأضواء فى جامعات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة منذ الربيع الماضي؟

. فى جامعة برشلونة حدث أيضا "تخييم" بحرم الجامعة، وفى ذروة تحرك الجامعات الأمريكية والأوروبية. ارتفعت مطالب الطلاب بوقف التعاون الأكاديمى مع الجامعات الإسرائيلية. وكان لهذه الحركة هنا نتائج إيجابية على صعيد تغيير سياسات بعض الجامعات استجابة للضغط الطلابى تضامنا مع فلسطين.

عن يهود كتالونيا

●وماهو موقف اليهود فى كتالونيا؟ وهل هم بدورهم منقسمون تجاه القضية الفلسطينية والولاء للصهيونية وإسرائيل؟

. الجالية اليهودية بكتالونيا بالأصل عددها صغير. واليهود هنا لايميزون أنفسهم عادة بارتداء ملابس تفصح عن هويتهم الدينية. وما أعلم أن هناك مؤسسة يهودية صغيرة فى برشلونة أعلنت مواقف ضد الإبادة الجماعية فى غزة، لكنها مع حق إسرائيل فى الوجود.

حاوره من القاهرة عبر الماسينجر:
كارم يحيى

قالت العرب

في بيتِه الحَكَمُ، الذي هو صادقٌ، فأتوا بيوتَ القومِ من أبوابها
وتخالَفُ الرّؤساءِ يشهدُ مُقْسماً إنّ المعاشرَ ما اهتدَتْ لصوابها
وإذا لصوصُ الأرضِ أعيَتْ واليا، ألقى السّؤالَ بها على توّابها
(أبو العلاء المعري)

المشهد
العدد 336 - السنة الثالثة عشرة - الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

جميل عفيفى الخبير فى الصراع العربى الإسرائيلى لـ «المشهد»:

إسرائيل استخدمت 7 أكتوبر ذريعة لتصفية القضية الفلسطينية

بعد أكثر من عام على طوفان الأقصى الذى انطلق فى السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣م وحصار الشعب الفلسطينى الأعزل وقَتل الآلاف من الفلسطينيين بينهم الأطفال والنساء والشيوخ من خلال عمليات الاقتحام التى قام بها جيش الإحتلال الصهيونى فى غزة الأبية.

التقت «المشهد» الكاتب الصحفى جميل عفيفى ، الخبير فى الشأن الفلسطينى والإسرائيلى ومدير تحرير جريدة الأهرام والحاصل على زمالة أكاديمية ناصر العسكرية العليا فى الاستراتيجية والامن القومى ، مدير الطبعه الدولية لصحيفة الأهرام ، وأجرت معه هذا الحوار:

حوار - إبراهيم خالد

المقاومة أعادت القضية الفلسطينية من جديد ويجب عليها مراعاة رد الفعل والإجرام الإسرائيلى ضد المدنيين

أمريكا تستخدم الفيتو لحماية نتنياهو من جرائم الحرب التى تسببت باستشهاد أكثر من 40 ألفا حتى الآن

المجتمع الدولى يتجاهل ماترتكبه إسرائيل من إبادة ومصر تواصل دعم القضية الفلسطينية

● كيف ترى الوضع الحالى فى فلسطين بعد مرور عام على طوفان الأقصى؟

. للأسف الشديد حدثت وقائع شنيعة خلال عام من الحرب على غزة ، القصف المتواصل من جيش الاحتلال على قطاع غزة، حيث قُتل أكثر من ٤٠ ألف شخص من المدنيين، أغلبهم من الأطفال والنساء والشيوخ ، وأيضا تدمير كامل للبنية التحتية وتشريد أكثر من ٢ مليون فلسطيني، وخلال العام نفذت حكومة إسرائيل كل الجرائم ضد الإنسانية، مشيرا أنها تستخدم سلاح تجويع المواطنين بالقطاع، كما أن إسرائيل اتخذت من يوم ٧ أكتوبر ذريعة لتصفية القضية الفلسطينية واستخدام سياسة التهجير رغبة فى اقتلاع السكان من القطاع ودفعهم إلى سيناء، إلا أنه كان هناك حائط منيع من الرئيس عبد الفتاح السيسى بعد وضعه خطا أحمر على عملية التهجير وما يسمى بـ «صفقة القرن» وتصفية القضية.

● هل ترى أن المقاومة ضد إسرائيل مستمرة حتى تحرير كامل الأراضى الفلسطينية؟

. المقاومة ضد الاحتلال شى مهم ولكن يجب أن تدرس جيدا كافة العمليات العسكرية، لأن ضحايا رد الفعل من المدنيين بأعداد هائلة، لذلك يجب الاحتكام لصوت العقل والعمل على حل القضية بشكل سلمي، وواجب على إسرائيل أن تحترم حقوق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره. المقاومة أعادت القضية الفلسطينية من جديد إلى الاهتمام العالمى فى الوقت الحالي، و لكن يجب وضع أرواح المدنيين أمام أعين رجال المقاومة وقت تنفيذ أى عملية عسكرية، لان الرد الإسرائيلى عشوائى لا يفرق بين المدنيين سواء كانوا أطفالا أو نساء أو شيوخا، وبالتأكيد يجب الوصول لحل القضية الفلسطينية باقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من يونيو ٦٧.

●ما هى استراتيجيات حركة حماس التى تم تطويرها خلال عام من المقاومة ؟

. للأسف الشديد المقاومة الفلسطينية تم انهاكها خلال العام بسبب القتال المستمر، وحدث نقص فى الذخيرة وقطع غيار الأسلحة مما مكن جيش الاحتلال من تنفيذ الأعمال الإجرامية يوميا وفرض سيطرته على القطاع، لافتًا أن الحل هو العمل للوصول إلى هدنة من أجل إعادة تماسك القوات والاستشفاء.

●ما هى توقعاتك للعام المقبل فيما يتعلق بالحرب بين حماس واسرائيل ؟

. أعتقد أن العام المقبل سيشهد العديد من التغييرات وخاصة عقب انتخاب رئيس جديد للولايات المتحدة الأمريكية، ربما يضع استراتيجية جديدة للتعامل مع القضية الفلسطينية، ولكن يجب أن يكون هناك سيناريوهات عديدة جديدة من قبل المقاومة من أجل الوصول إلى حل للقضية الفلسطينية.

●هل المجتمع الدولى يلعب دورًا إيجابيًا فى دعم القضية الفلسطينية.. وكيف؟

. بالتأكيد المجتمع الدولى متخاذل بشكل كبير، حيث هناك ازدواجية واضحة فى المعايير، فكل ما يخرج من المجتمع الدولى تصريحات فقط، بينما ما يحدث على أرض الواقع غير ذلك، حيث لا يوجد أية تحركات من أجل وقف عدوان الجيش الاسرائيلى أو إرغام رئيس حكومة الإحتلال على الوقف الفورى للعمليات العسكرية، على الجانب الآخر نجد أن مصر هى الدولة الوحيدة الداعمة، و التى تسعى الى تحريك القضية على مستوى العالم، و لديها ثوابت تعلنها من اليوم الأول ولم تتغير حتى الآن، و هى الوقف الفورى للعمليات العسكرية وتبادل الأسرى وحل القضية الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود الرابع من يونيو ٦٧.

● كيف ترى دور الإعلام فى تناول وتغطية الحرب خلال عام مضى؟

. دور الإعلام مهم بشكل كبير، حيث استطاع الإعلام المصرى أن يوضح الحقائق أمام العالم أجمع، وأرسل الصورة الحقيقية لما يحدث من جرائم يومية فى قطاع غزة من قِبل الكيان الإسرائيلى ، الإعلام أعطى جرعةً كبيرة من الوعى للشعوب التى لم تكن تهتم بمنطقة الشرق الأوسط، مما أسفر عما شاهدناه من مظاهرات ضخمة فى الولايات المتحدة ودول أوروبا.

●هل تعتقد أنه من الممكن محاسبة نتنياهو كمجرم حرب؟

. لن يتم محاكمة نتنياهو كمجرم حرب أمام محكمة العدل الدولية، لأنه يجب إقرار الحُكم فى مجلس الأمن، حيث أن أمريكا ستقوم باستخدام الفيتو لوقف أى قرار يدين نتنياهو، ولكن اتوقع أن يتم محاكمته فى الداخل الإسرائيلى لأسباب تخص الفساد وعدم تحقيقه الأهداف الكامنة فى نفوسهم خلال فترة الحرب.

●لماذا لم تستطع المنظمات الدولية وقف العدوان على غزة ؟

. المنظمات الدولية ليس لها إصدار القرارات النهائية لأنها بيد مجلس الأمن فقط، وجميع القرارات التى تصدر من أى منظمة أخرى غير ملزمة، ولكن كان لابد من اتخاذ قرارات أخرى، وأهمها فضح الممارسات الاسرائيلية أمام العالم وحث بعض الدول على منع تصدير السلاح الى إسرائيل او فرض حصار اقتصادى عليها، ولكن بالتأكيد هناك تخوف من الدور الأمريكى المساند بشكل كبير لإسرائيل.

●ما رأيك فى موقف الولايات المتحدة الأمريكية من طوفان الاقصى؟

. الموقف الامريكى واضح وصريح هو الدعم اللامحدود لإسرائيل من خلال السلاح وقطع الغيار الخاصة بالأسلحة والدعم المالى وتحريك حاملات الطائرات، والقطع البحرية إلى شرق المتوسط، ويحدث ذلك لترهيب إيران و حزب الله، ورغم كل تلك الأشياء تأخذ التصريحات السياسية منحى آخر، للمطالبة بالوصول الى هدنة، على الرغم أن كان هناك إرادة حقيقية من قِبل أمريكا لوقف هذه المجازر لاوقفتها فى الحال.

● لماذا لم تنجح الجهود العربية فى تحقيق حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية؟

. بالتأكيد الدول العربية موقفها موحد، وهو وقف نزيف الدماء وهذا الموقف أعلن أكثر من مرة فى اجتماع القادة وأيضا فى الأمم المتحدة، كما تم تجديد مبادرة السلام مع إسرائيل فى حال إقامة دولة فلسطينية، وذلك هو ما أعلنت عنه العديد من الدول العربية

● حدثنا عن الدور المصرى خلال عام من حرب طوفان الأقصى ؟

. الدور المصرى هو الأقوى على مستوى العالم، لأنه قام بفتح معبر رفح لدخول المساعدات، وخصصت مطار العريش لاستقبال المساعدات الدولية، لافتا أن مصر دعت لقمة السلام فى العاصمة الإدارية، والرئيس عبدالفتاح السيسى قام بالإتصال بأغلب زعماء العالم لتشكيل رأى عام عالمي، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التى تروج لها الحكومة الإسرائيلية، بأن ما يحدث هو دفاع عن النفس، مؤكدا أن حقيقة أمر ما هى إلا محاولة تصفية القضية الفلسطينية، بجانب أيضا دور الرئيس السيسى فى الدعوة المستمرة بوقف فورى للعمليات العسكرية و حل القضية الفلسطينية.

●فى نهاية حوارنا .. هل تتوقع نشوب حرب اقليمية فى الشرق الأوسط ؟

.طالما طال أمد العمليات العسكرية، فبكل تأكيد ستتسع دائرة الصراع، وهو ما تم مع حزب الله و إيران و الحوثيين فى اليمن والحشد الشعبى فى العراق، موضحا أن فى حالة زيادة العمليات العسكرية ستدخل المنطقة فى حرب شرسة، وبالأخص إذا قامت إسرائيل بضرب المفاعلات الايرانية، مما يؤثر على الأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط وزيادة وتيرة الصراعات لتصل الى حرب إقليمية.

حكم تاريخى يحرر تجديد رخص السائقين من سطوة «النقابة»

عدم جواز اشتراط انضمام السائقين للنقابة العمالية لتجديد الرخصة

فى ٢٦ يونيو ٢٠٢٤، أصدرت محكمة القضاء الإدارى حكماً بإلغاء شرط الانتساب إلى إحدى النقابات العمالية أو فروعها، الذى كان يفرضه قانون المرور على السائقين كشرط للحصول على رخصة مهنية، ما يفتح الباب لعملية فرز يستفيد منها باب الحريات، والتنظيم النقابي، وقبله الحق الإنسانى فى الاختيار.

كانت دار الخدمات النقابية صاحبة الدعوى أعلنت عن الحكم منذ فترة قريبة، وبعد أن تجاوز فترة الطعن، وإن كان القرار فى كل الأحوال ملزما حتى لو طعن عليه.

دار الخدمات رفعت دعويين منفصلتين فى ١٩ نوفمبر ٢٠٢٣ برقمى ١٣٢٠٥، ١٣٢٠٧ لسنة ٧٨ ق، لكل من خليل رزق خليل، ومصطفى صلاح محمد، يعملان كسائقين، ضد كل من، وزير الداخلية، ومدير الإدارة العامة للمرور - بصفتيهما - طالبت فيهما بإلغاء القرار الإدارى المستند إلى المادة ٢٥٤ من اللائحة التنفيذية رقم ١٦١٣ لسنة ٢٠٠٨، لقانون المرور، والمتمثل فى اشتراط الإدارة العامة للمرور، بانضمام السائق - المدعي- إلى النقابة العامة، أو أحد فروعها حتى يتسنى له تجديد رخصته المهنية، مما يستتبع آثاراً قانونية أهمها إجباره على الانضمام للنقابة، وإلزامه بدفع مبلغ الاشتراك.

التنظيم النقابي.. حق الاختيار

منسق دار الخدمات النقابية كمال عباس يرى فى القرار إنجازا تاريخيا فى ملف الحريات النقابية، حيث يهد القرار معبد التنظيم الواحد الذى طالما تماهى مع السلطة، وخدمها بقدر لم يخدم به مصالح العمال، واصفا الحكم بالتاريخي.

تاريخية الحكم فى رأى عباس تكمن فى استعادة العمال لحقهم فى حرية الانضمام إلى المنظمات النقابية أخيرا، وهو الحق الذى قوضته الأنظمة السياسية المتعاقبة. فعلى مدار سنوات، أجبرت الدولة مواطنيها على الانضمام إلى تنظيمات عمالية تابعة لها، مما أفرغ مفهوم حرية التنظيم النقابى من معناه الحقيقي، وفى الوقت نفسه أعدم تلك الكيانات أى فاعلية، بل بالعكس لطالما وقفت ضد العمال، وشهدت عليهم فى المحاكم.

من المفارقات اللافتة أن شرط الانضمام الإلزامى للنقابة العامة كان يمتد ليشمل العاملين فى بعض القطاعات غير الرسمية، رغم أن هذه العضوية المفروضة لا تقدم لهم أى منفعة تُذكر، كما تحرمهم من إنشاء نقابات من شأنها العمل على حماية مصالحهم بشكل فعال، حيث كان يتم التضييق على النقابات التى تحاول أن تعمل بشكل مستقل عن النقابة العامة التابعة للحكومة، بحسب عباس.

لفت عباس إلى أن ميزانية نقابة النقل البرى هى الأكبر فى عموم نقابات مصر، حيث ينضم لها جبرا ما يفوق المليون سائق، ومع ذلك فهى لم تساند السائقين حتى فى التأمين ضد مخاطر العمل، او العمل على سن قوانين تحميهم، خصوصا فى زمن الأوبئة، حيث عانى السائقون الأمرين فى وقت كورونا، ولم تتدخل لهم النقابة العامة إطلاقا.

من الجانب القانونى أرجع محامى دار الخدمات أشرف الشربينى أسباب الحكم، إلى ما وقر فى ضمير الهيئة القضائية من أن شرط الإجبار على الانضمام للنقابة، الذى تفرضه اللائحة التنفيذية لقانون المرور، شرط مستحدث، لم ينص عليه القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٧٣، وبما يخل بالدستور الذى ينص فى مادته رقم ١٧٠، على أن إصدار اللوائح، لا يجب أن يتضمن تعديلا لحكم القانون، أو تعطيلا لمقتضاه، أو حتى إعفاء من تنفيذه.

فى حين يتسق حكم المحكمة مع ما نصت عليه المادة ٤ من قانون المنظمات النقابية - العمالية، رقم ٢١٣ لسنة ٢٠١٧ الذى ينص على: « للعمال دون تمييز الحق فى تكوين المنظمات النقابية، ولهم كذلك حرية الانضمام إليها، أو الانسحاب منها، وذلك وفقا للقواعد والإجراءات المقررة فى هذا القانون، ولائحته التنفيذية».

فى الوقت نفسه لفت الشربينى فى ندوة للدار أن حكم محكمة القضاء الإدارى واجب النفاذ من تاريخ صدوره، كما لا يمنع تنفيذه الطعن عليه، وذلك فى معرض الرد على أسئلة السائقين، خصوصا بعد منشور أصدرته نقابة النقل البرى ردا على الحكم.

وزعمت النقابة العامة للنقل أن الحكم طعن عليه - رغم أنها ليست طرفا فى الدعوى - كما ادعت أن الطعن يوقف تنفيذ القرار، وذلك على عكس الحقيقة بحسب هيئة الدفاع عن السائقين صاحبى الدعوة.

من جانب آخر يلفت الشربينى إلى عمومية الحكم، فطبقا لحكم سابق للإدارية العليا، فإن حكم الإلغاء عام، بعكس التعويض الذى يعد حكما شخصيا، وهو ما يجعل حكم السائقين صالح لكل من يمتهن المهنة، وليس مقصورا على أصحاب الدعوى فقط، كما يعتقد البعض.

التنظيم النقابى و «السبوبة»

أحد السائقين صاحبى الدعوى وهو خليل رزق خليل، سبق له رفع الدعوى فى المحكمة الإدارية، ولكن تزامن البت فى القضية مع إلقاء القبض عليه، فلم يصدر حكم فيها، رغم صدور تقرير المفوضين لصالحه، كما تم سجنه احتياطيا لمدة ١٨ شهرا، وعلى ذمة اتهامات سياسية لانقابية معتادة مثل الانضمام لجماعة محظورة ونشر أخبار كاذبة وغيرها.

يعتقد خليل أن الحكم جاء بالتزامن مع تعاظم الانتهاكات بحق العمال، فيما تلوذ النقابات العامة، والاتحاد «الحكومي» العام المناصر للسلطة، بالصمت فى اغلب الأحيان، أو الوقوف علنا ضد العمال فى أحيان أخر، مما يعكس مدى الحاجة إلى تنظيمات نقابية حقيقية مستقلة تعبر عن مصالح أصحاب العمال.

خليل روى لـ «المشهد» رحلة السائقين مع الإجبار على الانضمام للتنظيم النقابى الذى وصفه بالحكومي، حيث كانت إدارة المرور عليها الإتيان بشهادة تفيد بالانضمام إلى أحد لجان النقل البرى التابعة للنقابة العامة، ممهورة بتوقيعاتهم الفريدة فى الاعتراف بها من قبلهم.

حتى بعد الثورة وبزوغ نجم النقابات المستقلة لم يتغير الوضع، هكذا علق خليل، الذى أوضح أن الختم وشهادة النقابة ميزة لم تكن تملكها إلا نقابات السلطة، ولم تستطع النقابات المستقلة التمتع بها، وذلك فى محاولات طمسها، والتقليل من فاعليتها على الأرض.

بحسبة بسيطة عرضها خليل فإن مدخول هذه النقابات يصل إلى المليار ونصف كل ٣ سنوات «زمن تجديد الرخصة» حيث يصل عدد السائقين ٢ مليون سائق، وهو ما جعل الأمر مجرد «سبوبة» فى نظر البعض، وجعل التدخل الحكومى واضحا.

اعتبر خليل أن الغرض الحقيقى من الحكم هو رفع يد الدولة عن التنظيمات النقابية التى تمثل السائقين، وتدافع عن مصالحهم بشكل حقيقي، بعيدا عن أى أغراض شخصية ضيقة، لافتا إلى أنها المرة الرابعة فى محاولاته لرفع تلك الدعوى، وأخيرا البت فيها.

النفوذ فى مواجهة الاستقلال

فى محاولات النقابات المستقلة للتحرر نستعرض تجربة اللجنة النقابية المهنية لخدمات السائقين بالقليوبية، التى نشأت فيما بعد ثورة يناير ٢٠١١ حين استطاعت بعض النقابات انتزاع حقها فى الوجود، وسعت إلى تشكيل كيانات مستقلة، عن النقابات الحكومية، إلا انها وعلى مدار سنوات واجهت الكثير من العثرات، التى لا يمكن فصلها عن سياق سياسي- اقتصادى متدهور.

أمين اللجنة محمد نجيب يعتبر أن المادة ٢٥٤ من لائحة المرور كانت دائما حجر العثرة الأساسى فى محاولات عمل النقابات المستقلة، حيث استغلت التشكيلات الحكومية ميزتها فى إصدار شهادات الانضمام إلى النقابة، وسدت الطريق أمام النقابات المستقلة للحصول على تلك الميزة، مما اضطر مئات الآلاف من السائقين، إلى الانضمام إلى نقابات تابعة للحكومة لم تسع لخدمة مصالحهم يوما.

نجيب يكشف عن حرب ضروس دارت فى سبيل إنشاء نقابته، حيث كانت قيمة الاشتراك آنذاك لدى النقابة العامة ما يوازى ٣٠٠ جنيه، وذلك كقيمة عضويته التى تنتهى كل ٣ شهور، فيضطر السائق للاشتراك من جديد كل ٣ سنوات أى عند حاجته لتجديد الرخصة، فى حين كان اشتراك النقابة الوليدة فقط ٥٥ جنيها إجمالا، و١٠ جنيهات عند التجديد، حيث لا يتم إسقاط العضوية كما هو الحال فى النقابة العامة.

هذا الفارق السعرى الذى لايقابله خدمات من قبل النقابة العامة، أشعل حربا على النقابات المستقلة، فنزعوا عنها ميزة خطاب النقابة الذى يقدم عند تجديد الترخيص فى المرور، حينها لجأ نجيب ولجنته المستقلة إلى ساحات القضاء، حتى تم الاعتراف به، وتم توفيق الأوضاع طبقا لقانون تنظيم النقابات فى عام ٢٠١٧.

نجح نجيب فى إغلاق كل فروع النقابة العامة فى محافظة القليوبية، ومع ذلك استمر عملهم عبر أصحاب النفوذ، كما لم ينجح فى الحصول على ميزة خطاب تجديد الترخيص.

يستطرد نجيب فى شرح معاناة السائقين مع النقابات التابعة للحكومة، ويقول: «فى حين أن الاشتراك التأمينى الذى يدفعه السائق أصبح يصل إلى ٩ آلاف جنيه فى ٣ سنوات، فشريحة المعاش التى ينالها هى جزء بسيط جدا يبدأ من ٩٠٠ جنيه كمعاش، فارتفاع الاشتراك لايقابله حياة كريمة للسائق عند بلوغه سن التقاعد، حيث يتم التعامل معنا كعمالة غير رسمية، رغم مساهمتنا المهمة فى المجتمع، يدعم كل هذا غياب كامل لدور النقابات فى حماية مصالحنا».

نجيب لفت إلى أن هناك حكمين قضائيين صدرا بحق النقابة العامة فى عامى ٢٠٠٦، و٢٠٠٨ بوقف عملهما ولكن لم يتم تنفيذ تلك الأحكام نتيجة النفوذ التى تتمتع به تلك النقابات، وحماية الاتحاد لعملها المشوب بالانتهاكات.

فى الوقت نفسه تكشف الوقائع عن عدم حصول بعض السائقين على المعاش الذى يدفع من أجله الاشتراك، بحسب نجيب، فضلا عن بلطجة عمال «الكارتة» على السائقين، وهى رسوم يدفعونها على الطريق ومع كل دورة، فضلا عن عدم التامين عليهم ضد الحوادث حتى الآن.

مشاكل أخرى يكابدها السائقون تتمثل فى عدم وجود خدمة التامين الصحى بعكس الادعاءات الزائفة للاتحاد، ضرب نجيب مثالا على ذلك بمستشفى التامين فى القليوبية، التى لم يستطيعوا الوصول إلى خدماتها يوما، كما فوجئ السائقون بصفقة بيعها بمبلغ ٧ ملايين جنيه لأحد المستثمرين.

كان الجهاز المركزى للمحاسبات كشف عن وقائع فساد جرت وقائعها بمستشفى أول مايو التابعة لنقابة النقل البرى بالقليوبية، بدا الأمر بقرار تأجير المستشفى عام ٢٠٠٧ لصالح شقيق أمين اللجنة الإدارية للنقابة، بمبلغ أربعين ألف جنيه فى حين تتعدى تكلفتها بالأجهزة ما يزيد عن ٢٠ مليون جنيه، وذلك من خلال مزاد وهمى.

لاحقا تهرب المستأجر من سداد الإيجار وهرب للخارج وتم فسخ العقد وصدر قرار بإغلاق المستشفى فى عام ٢٠٠٨.

فى عام ٢٠١٧ استأجرت شركة توشيبا العربى المستشفى وقامت بتشغيلها لصالح العاملين بها، كما أبرمت عقدا لمدة سنة بإيجار شهرى يبلغ ٦٥ ألف جنية لأنها كانت ستجرى تطويرات كبيره على المستشفى والأجهزة بعد توقف ما يقرب من عشر سنوات، ولكنها وبشكل مفاجئ قامت بفسخ العقد ودفعت الشرط الجزائي، الذى لم يظهر لاحقا فى حسابات النقابة.

كما يكشف تقرير الجهاز المركزى للمحاسبات عن حرمان إيرادات المستشفى من مبالغ جملتها وصلت الى ٧٦٠٠٠٠ جنيها كان يمكن أن تحققها النقابة فى حالة استقرار العلاقة الإيجارية ما بين المستأجر وبين النقابة.

كما يكشف التقرير عن استيلاء أمين الصندوق بالنقابة على مبلغ وصل الى٢٢ ألف جنيه وفقا لما اسفر عنه محضر جرد النقدية بالإضافة الى عدم قيام أمين الصندوق السابق بسداد رصيد النقدية المستحق طرفه والبالغ ١١٣ الف جنيه والظاهر كرصيد مدين طرفه بالميزانية فى ذات الوقت.

مستشفى تأمين القليوبية أحد النماذج الفاضحة لانتهاكات النقابة العامة فى حق السائقين بحسب النقابى فى نقابة العمالة غير المنتظمة محمد عبد القادر، الذى اعتبر أن تاريخية القرار وانهائه لعصر النقابة الواحدة خطوة لايمكن تنفيذها على الأرض إلا بتحرك جماعى من قبل السائقين، وبدعم من الآلة الإعلامية، على مختلف منصاته، حتى لا يصبح القرار حبرا على ورق.

وكان عبدالقادر سبق وأن تقدم بمذكرة إلى وزير القوى العاملة خالد الأزهرى وناهد العشرى طالب فيها بضرورة إلغاء نص الفقر ب من نص المادة ٢٥٤ من اللائحة التنفيذية لقانون المرور، لافتا إلى تضخم ثروات عدد من رؤساء اللجان النقابية التابعة للنقل البرى والعبث بأموال السائقين.

تحقيق - أسماء زيدان

المشهد

قالت العرب

عيونك شوكة في القلب توجعني
واعبدها وأحميها من الريح
وأغمدها وراء الليل والأوجاع
أغمدها فيشعل جرحها ضوء المصابيح
ويجعل حاضري غدها أعز عليّ من روحي
(محمود درويش)

العدد 336 - السنة الثالثة عشرة - الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

الكاتب الموسوعى محمود قاسم لـ« المشهد »:

بيع أصول السينما للسعوديين أكبر عار

«أصابنى المرض وفقدت بصرى وتم بتر قدمى اليسرى»، بهذه الكلمات الموجعة بدأ كاتب الموسوعات الأدبية والسينمائية والروائى والناقد الفنى والمترجم وكاتب الأطفال «محمود قاسم» صاحب بنك المعلومات الذى يعد فريدا من نوعه فى العالم العربى، والذى أعد مجموعة كبيرة من الموسوعات الأدبية والسينمائية ، التى أصبح لها عناوين مختلفة فى المكتبات العربية، نشر ما يقارب من ٦٥٠ مؤلفاَ فى مجال تبسيط العلوم وراويات الأطفال وتبسيط التاريخ والموسوعات الثقافية المتعددة، استطاع أن يجمع بين الثقافات المتعددة مثل العلوم وفنون الرسم، مما دعا النقاد إلى إطلاق لقب «الكاتب الموسوعى» عليه.

وبالرغم من أنه فى الفترة الحالية يمر بظروف مرضية قاسية وبالغة الصعوبة، لكنه لازال يكتب للأطفال ويعيد كتابة الروايات مرة أخرى، ويدوام على كتابة المقالات، له العديد من الروايات والكتب الكثيرة حول السينما المصرية والكثير من المسلسلات الإذاعية للكبار والصغار فى الإذاعات العربية والمصرية، وفاز بالعديد من الجوائز فى مجال الكتابة للأطفال والدراما الإذاعية ، عمل فى مؤسسة دار الهلال لسنوات طويلة وقام بتأسيس أول وأشهر نادى لسينما الأطفال فى أماكن متعددة منها نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للثقافة، وتقلد العديد من المناصب كان أخرها رئيس تحرير سلسلة كتب الهلال للأولاد والبنات.

خذلتنى وزيرة الثقافة السابقة فكتبت "دعونى استمتع بمرضى وانتظر مصيرى"

القراءة هى كل حياتى وأحس أنى ولدت لأكتب وأعيش لأحصد ماكتبته

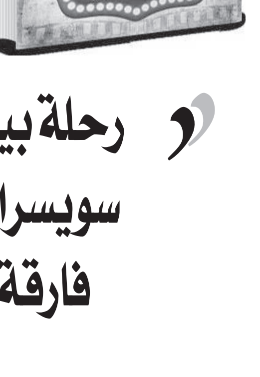

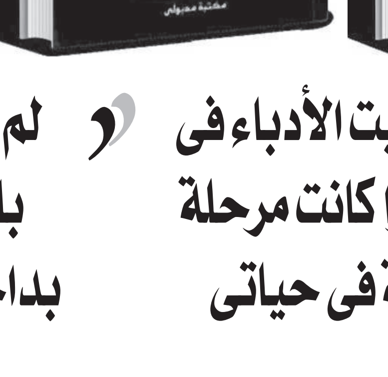

رحلة بيت الأدباء فى سويسرا كانت مرحلة فارقة فى حياتى

لم أعش طفولتى فعوضتها بالكتابة .. والطفل الذى بداخلى يكتب مايحب كتابته

وبمناسبة ذكرى انتصارات أكتوبر، والتى قدم لها الكاتب العديد من الروايات والقصص والكتب التى تحكى عن الأبطال الحقيقيين فى المعركة، حيث كان وقتها مجندًا فى الجيش وتابع عن كثب تلك الأحداث ودونها فى الكثير من المؤلفات للكبار والصغار، ومن أشهرها رواية «حكايات من وحى أكتوبر» وقصص للأطفال عن أبطال أكتوبر وأحداثها المختلفة، ولذلك التقت « المشهد » بكاتب الموسوعات» محمود قاسم» للوقوف على محطات هامة فى حياته العملية التى تستحق الإهتمام، وإظهار مدى التنوع العجيب فى تلك الإبداعات المختلفة فى الأدب والسينما والرواية والمقال والدراما والسيناريو وقصص الأطفال وغيرها من العلوم والفنون المختلفة، ومعرفة السر وراء تعدد تلك المواهب وهذا العطاء الذى مازال مستمراَ، ويمكننا أن نلخص مشوار حياته فى كلمة واحدة وهى (القراءة).

يقول محمود قاسم: القراءة هى كل حياتى ، أعشق العلم والمعرفة فى جميع المجالات الأدبية والفنية، كما أن دور الروائى هو تسجيل الوقائع على الورق، وروايتى «أخر أيام الاسكندرية» تتحدث عن أن الدول تنهار عندما يحكمها العواجيز لسنوات طويلة وهذه الرواية منشورة فى هيئة الكتاب فى زمن حسنى مبارك، والتنوع فى الكتابة سواء فى الدراما الإذاعية وكتب الأطفال والنقد والموسوعات والرواية كل هذا لأننى كاتب أعشق التذوق، وبشكل عام فإن الطفل الذى بداخلى هو الذى يكتب مايحب كتابته.

وعن موسوعاته السينمائية يقول: قررت جمع أرشيفى المعلوماتى الضخم والملفات الكثيرة الخاصة بالأدب والسينما فى كتب معرفية حتى يكون لدينا كتاب مرجعى عن السينما ولم يقدم المركز القومى للسينما يد العون لى أبداً، والعار الأكبر يتمثل فى أن المصريين باعوا أصول السينما والأفلام بثمن بخس، ونحن الأن نرى أفلامنا تباع أصولها ويتم ترميمها ونحن نتفرج ونشعر بالندم والحسرة الشديدة، وحياتى فى الغالب هى مجموعة من الاستقالات والابتعاد والهروب ، وإلى نص الحوار....

● فى البداية .. كيف كانت بداية حياتك فى الكتابة؟

- «ولدت لأكتب وأعيش لأحصد ماكتبته» فأنا أقول عن نفسى أننى جاد جدًا فيما قرأت وجاد فيما كتبت، تخرجت فى كلية الزراعة عام ١٩٧٢م بجامعة الاسكندرية، وشغلت فى بداية حياتى عدة مناصب بعيدة عن مجال الأدب، وأعتبر نفسى محظوظا لوصولى لهذا العمر (٧٢ عاما) الذى لم يبلغه والداى فى حياتهما، وآخر ثلاثة أعوام مررت بتجربة قاسية جدًا مع مرض السكر، وأدى إلى فقد بصرى وتم بتر قدمى اليسرى، ومع كل هذا، الحياة مستمرة وأتواصل مع أصدقائى على مواقع التواصل الاجتماعى وأكتب مقالات وروايات وكتب، والسنة الماضية ٢٠٢٣ صدر لى ثمانية كتب، وبداية العام الحالى تم تكريمى فى معرض الكتاب والمركز القومى لثقافة الطفل وكان هذا تكريما جيدا وحصلت على جائزة أحسن كاتب فى المعرض وتم نشر مجموعة من الكتب لى ومازلت أعمل، كما عملت سابقا فى قسم الإعلام بالشعبة القومية لليونسكو ثم فى المعهد الفنى التجارى، وفى الكلية التكنولوجية بالاسكندرية كرئيس قسم بالمكتبة ، وتوليت منصب أستاذ جامعى فى قسم الرسوم المتحركة بكلية الفنون الجميلة فى جامعة المنيا عام ٢٠٠٧.

بدأت الكتابة بداية الثمانينيات من القرن الماضى فى العديد من الدوريات المصرية والعربية، ثم دخلت دار الهلال وعملت فى مجلة الهلال، وكتبت فى مجلات الدار وفى الصحافة الثقافية فى مصر والوطن العربى منها الفيصل ودبى الثقافية والبحرين الثقافية وغيرها، ولا أتصور أننى بعت حرفاً واحداً بشكل رخيص أو غال مما كتبته، وكان همى فى الحياة كلها منذ طفولتى أن أستوعب وأقرأ وأكتب حصيلة قراءاتي، وهذا هو الأمر الأهم فى أننى كتبت كثيراً بمعنى أننى اكتشفت أن المعرفة أنهار متواصلة مع بعضها من خلال مجرى مائى تتواصل فيما بينها وتعطى بعضها البعض، حتى جمعت فى ذاكرتى منذ الطفولة كل السينما المصرية وأيضاً أغلب السينما الفرنسية والأمريكية والإنجليزية والإيطالية، وكانت لدى رغبة قوية جدًا فى التجميع والمعرفة الأكثر، بمعنى أننى كنت أشاهد كل الأفلام وأقرأ القصص التى تحولت إلى أفلام، وقرأت أغلب الروايات المصرية التى تحولت إلى أفلام بداية من يوسف السباعى وإحسان عبدالقدوس ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهم، وبالتالى لا تستطيع أن تكون مثقفاً دون أن يكون لديك الكثير من المعرفة فى الأدب والشعر والموسيقى والفن التشكيلى، وفنون الكتابة النثرية، قرأت فى أغلب المجالات خصوصا فى العلوم وكتبت فى جميع المجالات ماعدا مجال واحد وهو الشعر، لم أستوعبه كثيراً ولم أحبه، والسبب أن الشعر الذى درسناه وتعلمناه كان أغلبه إما مدحاً أو تملقاً وأشياء من هذا القبيل، ولذلك لم أحب الشعر ولا أغلب الشعراء، وكنت حريصاً طيلة عمرى ألا أقترب من الشعر وأحببت النثر، أدركت فى وقت مبكر من حياتى أن القراءة هى السبيل للمعرفة والمستقبل، وكنت غزير الكتابة والمتابعة، وكان كل همى تقديم أعلام الأدب المعاصر إلى القارئ، وقمت بتجربة الكتابة فى هذه المجالات فكتبت أكثر من عشرة آلاف مقال فى صحف ومجلات عربية منذ العام ١٩٨٠ بدأتها فى جريدة المساء واستكملتها بمجلة العربى الكويتى.

● حدثنا عن فترة حرب أكتوبر ودور السينما فى تسجيل تلك اللحظات الهامة وأهم الروايات والقصص التى كتبتها؟

- عشت فترة حرب أكتوبر بكل تفاصيلها وكواليسها وكنت مجنداً فى وحدة عسكرية بالغردقة وقتها ولم نأخذ أجازة وتعلمنا الصبر والمقاومة وبعد مارجعت من الحرب كتبت رواية «أوديسانا» التى تحكى عن أحد المشاركين فى حرب أكتوبر«أودسيوس» العصر الحديث العائد من حرب أكتوبر كى يواجه متاعب الحياة المدنية الصعبة، فصار من العسير عليه أن يجد الزوجة والشقة والمال اللازم للعيش، وهناك فرق واضح بين أودسيوس العائد من النصر من حرب طروادة وأودسيوس العائد من الحرب فى السبعينيات من القرن الماضى، فقد وجد نفسه يعيش فى القاهرة ، بطل حرب طروادة رجع ليجد زوجة مخلصة والبطل المعاصر رجع ليجد الحياة مختلفة جدا.

كانت أول رواية عن عودة البطل عام ١٩٨٢ وأعيد نشرها حالياً وهناك قصص للأطفال عن حرب أكتوبر ومسلسلات من بينها «قصص من وحى أكتوبر» أتخيل فيها أن الأولاد تجمعوا حول تمثال عبدالمنعم رياض ليحكى لهم عن بطولاته العسكرية، وكل يوم أحكى قصة وكل عام أكتب عن الأبطال الحقيقيين، كما أن السينما بعد نصر أكتوبر كان لها دور عظيم وناجح جدا فى تسجيل وتوثيق ما حدث خلال هذه الحقبة من خلال سلسلة أفلام، حتى أصبحت هذه الأعمال السينمائية وثيقة مهمة جدا عابرة لكل الأجيال فى مختلف الأزمنة.

● حدثنا عن أهم رواياتك التى قدمتها.. وما هى أول رواية؟

أغلب رواياتى خالية من الخيال، بمعنى أن الواقع الذى كنت أعيشه أغرب من الخيال، وأول رواياتى التى نشرت بعنوان «لماذا» كانت فى ١٩٨٢، طبعت فى الإسكندرية وتحدثت فيها عن الإنسان المتراكب وهى رواية مليئة بالفلسفة ومازلت أعتبرها روايتى المفضلة وهى أهم عمل كتبته فى حياتي، وعندما كنت فى التجنيد وأعطيتها لقائدى أعجب بها جدا والغريب جدا أننى كتبت هذه الرواية وأنا فى العشرين من عمرى ثم نشرت فى العام التالى بعدها رواية «الثروة» ثم رواية «أدسيوس» .

● ولماذا تهتم بالكتابة للأطفال بشكل خاص؟

- كنت أهتم بالكتابة للأطفال لسبب مهم جداً وهو أننى عندما بلغت من العمر ثلاثة وثلاثين كنت شابا واكتشفت أن الطفولة هربت منى، ومهما فعلت فإننى لن أستطيع استرجاعها مرة أخرى، لم أعش طفولتى فقررت أن أكتب للطفل الذى بداخلى ماذا يفعل ، وأكتب لهذا الطفل قصصاً وأمتعه بالأفلام التى شاهدتها وظللت على هذا الأمر أكثر من نصف قرن وكتبت فى سينما الأطفال والتاريخ والعلوم وساعدنى هذا على اكتشاف المواهب الكثيرة للصغار، ومازلت إلى الأن أكتب، وأسعدنى كثيرا أن أغلب هؤلاء الأطفال الذين كنت أكتب لهم أصبحوا أدباء كبار يكتبون وإذا توقف أحدهم عن الكتابة أكلمه وأعنفه كثيرا حتى يعود لكتاباته، وأرجو من كل من علمتهم أن يكملوا مسيرتهم فى هذا الأمر، وكطفل حر لنفسه.

فقد توفى والدى وعمرى سبع سنوات وكنت أحصل على مصروفى الصغير وأذهب لأشاهد أفلاما بمبلغ زهيد جدا «بقرش صاغ» أتفرج على فيلمين وفى شهر رمضان كان هناك مايسمى بالعروض المستمرة.

● وماهو أول عمل قدمته فى كتاباتك للأطفال؟

- كتبت فى العديد من مجلات الأطفال فى العالم العربى، وكنت أحرر أبواباً ثابتة فى بعض المجلات العربية مثل العربى الصغير وكان كتابى الأول للأطفال هو (آلة الزمن العجيب) كما قدمت فى المركز القومى لثقافة الطفل أكثر من كتاب ومن أهمها (الكمبيوتر العجيب .. وحكايات أخرى) عام ١٩٨٨والذى ضم مجموعة من القصص حول بعض المخترعات الحديثة التى تشغل دورا هاما فى حياتنا مثل الرسوم المتحركة والتصوير تحت الماء والميكروفيلم ، وقمت بعمل موسوعات عديدة تناسب الأطفال وثقافتهم ومنها (موسوعة التخيل العلمى – موسوعة العلماء للأطفال – موسوعة الحضارات للأطفال – موسوعة التاريخ العربى للأطفال) وكتبت فى أغلب مجلات الأطفال ومنها (علاء الدين – ماجد – بلبل – مطبوعات دار الهلال) وألفت سلسلة من عشرة كتب أتخيل فيها سفر الإنسان إلى كل الأماكن التى حولنا فى الأزمنة والأماكن و أكثر من مسلسل إذاعى للكبار والصغار فى الإذاعات المصرية والعربية ومسلسل تليفزيونى باسم مغامرات جلجل وفلفل ، كذلك قمت بتأليف مسرحيات للأطفال فى العقدين الأخيرين ومنها (مسرحية زيزو كبير الموهوبين وزيزو ديجيتال) وهناك سلسلة أيضاً بعنوان «فانتازيا» وهى عبارة عن روايات للناشئة، يترك فيها البطل عالم الواقع بكل مشاكله ويخترق حدود الزمان والمكان ويجعل الطفل يعيش فى حواديت مسلية لا يمكن أن يراها فى الواقع، ولكنها تساعد فى اتساع دائرة الخيال عنده، وقمت بتأسيس أول وأشهر نادى لسينما الأطفال فى أماكن متعددة منها نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للثقافة.

● وماذا عن أهم كتاباتك فى الفترة الحالية؟

- بالرغم من حالتى الصحية الصعبة التى أمر بها فى الوقت الحالى إلا أننى لم أتوقف عن الكتابة للأطفال حيث أن المجلات الحالية المخصصة للطفل تنشر لى مقالات ومن أهمها «مجلة نور» التى تصدر شهريا عن الأزهر الشريف وأكتب فيها عن اختياراتى للكتب التى يجب أن يقرأها الأطفال وأيضا قصص الحضارات التى عرفها البشر وأيضاً أكتب مقالات وأعيد كتابة بعض الروايات.

● نشرت على صفحتكم الشخصية (دعونى استمتع بمرضى وانتظر مصيرى فلا تتدخلوا فى شأنى، وشكرا للجميع) ماذا كنت تقصد بهذه العبارات ولمن كنت توجه رسالتك ؟

- للأسف الشديد عندما مرضت واحتجت أن تقف معى الدولة أرسلتنى إلى مستشفيات التأمين الصحى وتدهورت حالتى تماما وكتبت على صفحتى الشخصية فى «فيسبوك» دعونى وحالى فسوف أموت على سريرى، ولن أطلب من أحد شيئا، كانت وزيرة الثقافة السابقة سلبية للغاية وتركتنى لمدير مكتبها الذى تلاعب بى فأنا لا أريد شيئا من الدولة، فأنا فقط فى حالتى المرضية هذه أنتظر موتى الذى أتمناه قبل دقيقة وليس بعد دقيقة، وأشكر دور هيئة الكتاب التى ساعدتنى فى نشر العديد من الكتب بداية من رواية البديل عام ١٩٨٧م، مرورا بالموسوعات والكتب الأخرى وأيضاً أشكر دور النشر الأخرى الخاصة ودور الصحافة المختلفة وعلى رأسها دار الهلال.

● وماهى أهم أعمالك فى مجال الترجمة ؟

- قمت بترجمة مايقرب من ١٥ رواية عالمية من أهم الروايات وفاز أغلب كتابها بجائزة نوبل وكان أهمها رواية «آلهة الذباب» التى ترجمتها عام ١٩٨٢ أما أشهر ماترجمته فهو تقديم أعمال الروائى المصرى العالمى المقيم فى باريس «ألبير قصيرى».

● وماذا عن التنوع فى إبداعاتك ؟

- جمال الثقافة فى تنوعها، كلما ذهبت إلى مكتبة منذ طفولتى إذا جذبنى عنوان كتاب أخذه لأقرأه، ومن كثرة القراءة أصبحت متعطشا أكثر لها وهذه هى عظمة القراءة، وأرى أن وعاء العلم والمعرفة كلما امتلأ طلب المزيد، فالقراءة هى تحصيل للمعرفة وبالرغم من أننا أمة اقرأ إلا أننا لم نقرأ إلا أشياء محدودة للغاية ولم نقرأ ما يهم البشرية والبشر والحضارات، وأعتقد أن من أهم سلاسل الكتب فى تاريخ مصر الحديث «القراءة للجميع»، ولكن للأسف الشديد كانت الدولة تطبع الكتب وتبيعها بأرخص الأسعار والناس تشتريها من أجل اقتنائها فقط وليس للقراءة، وأتمنى عودة هذا المشروع مرة أخرى وأن تكون الأجيال قارئة.

منذ طفولتى وأنا أحب السينما وأتذكر أول مرة، كنت فى سن الرابعة من عمرى عندما صحبنى أبى إلى دار السينما فى الحى الذى نسكن فيه ورأيت الفارق بين ظلام القاعة ونور الشاشة وشاهدت فيلما اسمه «عشرة بلدى» بطولة اسماعيل يس ومحمد أمين، ولن أنسى مثل هذا الأمر وبدأت أحب السينما لأن فى الفيلم الواحد تستطيعين أن تحصلى على وجبة كاملة من الأغنية والموسيقى والفكاهة والجدية وغيرها، ولهذا السبب قالوا أن السينما هى الفن السابع بمعنى أنه الفن الذى يشمل كل الفنون، فبالتالى أحببت السينما.

● يقال أنك رجل الموسوعات فى مصر .. ما الحكاية؟ وماذا عن أهم الموسوعات الأدبية والفنية؟

- لا أستطيع أن أستحوذ على هذه التسمية لنفسي، مافعلته أننى زرعت البذرة الأولى فى موسوعات مهمة، بدأت الموسوعات عام ١٩٩٣م حينما اكتشفت أن لدينا حوالى أربعة ألاف فيلم موجودة وليس لها كتاب مرجعى لجمع المعلومات، وفى ذلك الوقت أيضاً لم تكن هناك القنوات الفضائية والمتخصصة، فصنعت أول موسوعة للأفلام العربية وهى تعنى رؤية الفيلم والقيام بعمل بطاقة تعريفية للمعلومات تشبه البطاقة الشخصية من اسم الفيلم وتاريخه وأهم جوائزه، وتم اسستحسانها لكن مع مرور الوقت كنت أشعر أن الموسوعة ناقصة وأحاول تجديدها فعلى مدى ثلاثين عاماً قمت بتحديث موسوعة الأفلام ست مرات وكنت فى كل مرة أحاول تجديدها.

وفى أخر مرة أصبح حجمها ألفى صفحة من القطع الكبير جدا، وشجعنى هذا الأمر على موسوعة «الممثل» ثم موسوعة «المخرجين» ثم موسوعة» الأدباء العالميين» ثم موسوعة «كتاب الأطفال» وتم طبعها أكثر من طبعة وقدمت موسوعة مجلات الأطفال فى العالم العربى وموسوعة الحضارات للأطفال، وكنت كلما أنتهى من تلك الموسوعات أقوم بتجديدها مرة ثانية وأشكر من وقف معى وساندنى فى هذا الأمر، ولدى موسوعات أدبية كبيرة جداً، وموسوعات عن جائزة نوبل وكل الذين حصلوا على هذه الجائزة فى كافة الفروع حتى عام ٢٠١٠ ولم تشاهد الأمة العربية مثل هذه الموسوعات، ولدى موسوعة أخرى وهى موسوعة الجوائز الأدبية وهى موسوعة عن الذين حصلوا على الجوائز الأدبية المتعددة فى جميع أنحاء العالم، وتحدثت عن عمالقة القرن العشرين فى المجالات الخمس التى تعطى فيها جائزة نوبل، وفى الموسوعات الأدبية كنت أتحدث عن العباقرة فى كل أنحاء العالم فى الهند وفى الصين وكوريا ، وموسوعات كبيرة جدا ومتعددة للأطفال وكنت أحب عبدالحليم حافظ وقدمت عنه موسوعة كاملة بها كل شئ عن حياته وأفلامه وأغانيه هذا غير رواية باسم (زمن عبدالحليم حافظ).

● هل كتبت عن مدينة الإسكندرية فى رواياتك؟

- نصف رواياتى كانت عن مدينة الاسكندرية لأننى عشت فيها ٣٥ سنة من عمرى، وكانت لدى رواية باسم (وقائع سنوات الصبا) ورواية (شارلستون) وغيرها من الروايات كتبتها فى الاسكندرية على شاطئ البحر، لكنى كتبت عن الاسكندرية لأنى ابنها ولم أكتب عن البحر والمعالم السياحية ولكنى كتبت عن جامعة الاسكندرية من شدة حبى لها والقطار والشوارع وهكذا، فكانت دائما فى كل كتاباتى وأعمالى ولدى رواية باسم (أخر أيام الاسكندرية) كتبت فيها عن كنوز الاسكندرية القديمة التى سقطت فى البحر عندما حدث زلزال وقاموا بانتشالها وتم عمل فيها مدينة تحت المياه وكتبت عنها فى ذلك الوقت رواية تاريخية أشبه برواية عاطفية.

● ماذا تعنى السينما فى حياتك؟ ومارأيك فيما تقدمه السينما فى الوقت الحالى؟

- أنا عاشق للسينما كما أعشق القراءة وسعيد جدا أننى أقدم شيئا يمثل مصدر سعادة للأخرين، والسينما والأدب لصيقان، أحب قراءة الرواية ومشاهدتها سينمائيا، وأقارن بينهما واستمتع بذلك، وخصصت كتابا عن السينما السورية وتضمن تاريخها من عام ١٩٨٢ إلى عام ٢٠٠٢ وصدر عن وزارة الثقافة السورية عام ٢٠٠٣ فى ١٧٠ صفحة من القطع الكبير، وأجمل الأفلام هى المأخوذة من أعمال أدبية مثل (بداية ونهاية) لنجيب محفوظ و«الغريب» لألبير كامى» وما يحدث الأن من بيع أصول السينما المصرية للسعوديين الذين قاموا بعمل شئ مهم جدا وقاموا بترميمها وللأسف بضاعتنا بيعت ونحن نتفرج عليها ونشعر بالحسرة الشديدة وهذا أمر مؤسف للغاية ولن أسامح أبداً هؤلاء الذين صنعوا أفلاماً يمجدون فيها البلطجية وأصحاب الأسلحة البيضاء، لقد أفسدوا ذاكرتنا وصار كل من محمد سعد «اللمبى» ومحمد رمضان رموزاً لطموحات الشباب.

● وماذا عن السينما العالمية ؟

- قرأت الأدب العالمى القديم فى القرون السابقة والقرن العشرين وكنت أقارن مابين الرواية والفيلم، وكنت أستاذا فى كلية الفنون الجميلة بالمنيا ودعوت الطلاب لحضور ندوة مدتها ساعة ونصفا تقريبا وطلبت منهم الجلوس للاستمتاع بجمال الفن والأدب، فأنا لا أمتلك وحدى ناصية التأليف والقراءة ولكنهما متاحين للجميع، وعندما كبرت فى السن كنت متحمسا جدا أن أعطى هدايا من مكتبتى لزملائى فى الجامعة ليقرأوا أثناء الأجازات وحدث نفس الأمر مع تلاميذى والأطفال فى الندوات التى كنت أعقدها، وأرى أن أهم شئ فى الفن هو المشاركة، وللأسف الشديد أصبحنا فى الوقت الحالى فقراء جدا فى توعية الأطفال فى سن التكوين بأهمية القراءة وخاصة بعد توقف القراءة للجميع.

● تبدى اهتماما كبيرا بالكتابة عن الفائزين بجائزة نوبل ... ما الحكاية؟

- جائزة نوبل هى أقدم الجوائز فى العالم منذ عام ١٩٠١ومنذ هذا التاريخ والعالم مهتم بالجوائز فى مختلف المجلات، وهناك أكثر من مائة ألف جائزة طوال القرن العشرين ولكن ليست هناك جائزة واحدة صارت لها نفس الأهمية، وقد تابعت أسماء من فازوا بالجائزة طوال حياتى وعندما بدأت فى الكتابة كنت أتابع الكتاب الذين يحصلون على الجائزة وأصدرت أول موسوعة للفائزين بجائزة نوبل فى عام ١٩٩٦ وفى عام ٢٠١٠ صدرت مجددا كاملة أى أنها تضم كل الفائزين فى كل الفروع وأفخر أننى أول من كتب فى هذا المجال.

● ماذا تعنى رحلة بيت الأدباء بالنسبة لك فى سويسرا فى عام ٢٠٠١؟

كنا مجموعة مكونة من ستة ضيوف من دول مختلفة لبيت الأدباء وهناك اختلطت بثقافات متعددة واكتشفت مع مرور الأيام أنهم يتعاملون معى على أننى موسوعة متحركة، وساعتها بدأت أنتبه لنفسى، وعندما عدت إلى القاهرة كتبت مقالا بعنوان « كنت فى الفردوس» وكتبت واحدة من أجمل رواياتى باسم «أفعال الحب» ونشرت الطبعة الثانية منها فى بيروت وترجمت فصول منها إلى الفرنسية وقد أعجبت الكاتب الكبير بهاء طاهر حين قرأها.

● وأخيراً ... ماذا عن أهم الجوائز التى حصلت عليها؟

جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٨ عن كتابى الثانى (حكايات غيرت الدنيا) وكانت هذه الجائزة بمثابة انطلاقة قوية فى عالم ثقافة الطفل، والعديد من جوائز الدولة فى أدب الطفل من عدة مؤسسات عربية ومنها (المجلس الأعلى للثقافة ووزارة البحث العلمى ومهرجان البحرين للدراما الإذاعية ومهرجان القاهرة للإذاعة والتليفزيون وجوائز أخرى فى المسابقات الإذاعية عن الكثير من المسلسلات اليومية منها (حكايات من وحى أكتوبر – شقاوة كلام – مغامرات حبحب – أجمل حكايات السينما) وجائزة النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر عن كتاب «الأدب العربى المكتوب بالفرنسية».

حوار: حنان موسى

المشهد
العدد 336 – السنة الثالثة عشرة -الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

قالت العرب

رأيتك في جبال الشوك راعية بلا أغنام
مطاردة و في الأطلال
وكنت حديقتي وأنا غريب الدّار
أدقّ الباب يا قلبي على قلبي
يقوم الباب والشبّاك والإسمنت و الأحجار

(محمود درويش)

الإرث الضائع .. هكذا أثرت مصر فى الموسيقى

الموسيقى وحى يعلو على كل الحكم والفلسفات، وهى خير وسيلة للتعبير عن المشاعر الإنسانية الصادقة، فإذا أردت أن تتعرف على مجتمع، وأن تعرف إلى أى مدى وصل هذا المجتمع من رقى أو انهيار فى المنظومة الأخلاقية، وحدها الفنون تكشف عن ذلك. وقد كانت الحضارة المصرية ملهمة للعديد من المؤلفين الموسيقيين العالميين، وتم تأليف أكثر من خمسين عملا موسيقيا مستوحاة أو مقتبسة من أسرار وأساطير وقصص من الحضارة المصرية القديمة، ومن أشهر الأعمال الموسيقية «أوبرا عايدة» للموسيقار الإيطالى جيوسيبى فيردى والتى يتناول فيها عظمة الحضارة المصرية وشجاعة المصريين القدماء.

الباحث فى تاريخ الموسيقى نور الدين التميمى يسلط فى كتابه «الإرث الضائع كيف أثرت مصر فى الموسيقى العالمية» الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، الضوء على أربعين عملا من الأعمال الموسيقية العالمية على مدى القرنين الماضيين التى اتخذت من أساطير وقصص الحضارة المصرية موضوعا لها فى مجال الموسيقى والغناء والأوبرا، تكشف عن كنز مفقود من الأعمال الموسيقية العالمية التى لا يعيرها أحد اهتمامه فى مصر رغم أن هذه الأعمال مرتبطة بشكل كبير بالحضارة المصرية. وقد أكدت د.ذويا ميكوفا أستاذة تاريخ الموسيقى بأكاديمية الموسيقى والفنون الجميلة بجامعة بلوفديف . بلغاريا، فى مقدمتها للكتاب أن الأعمال الموسيقية التى يضمها الكتاب ليست إرثا للمصريين فقط بل لشعوب العالم أجمع، فهذا الكتاب وسيلة جيدة من وسائل التواصل الحضارى بين الشرق والغرب، فقد كتبت هذه الأعمال الموسيقية فى عصور يسود فيها التسامح والتآخى وقبول الآخر، سوف ترى فى هذا الكتاب مدى انبهار كبار الموسيقيين الأوروبيين بالحضارة المصرية من خلال ما كتبوا من أعمال موسيقية كلاسيكية تتسم بالإبداع الصادق.

وأضافت «سوف تعيش مع جول ماسينى معاناة الراهب أثانايل وتاهيس فتاة الإسكندرية، وتسمع هدير أمواج نهر النيل مع كاميلى سان صا، وتلتزم الصمت عندما يعزف سيريل سكوت المارش الجنائزى للملك المحارب رمسيس الثاني، سوف تتعرف أكثر على الحضارة المصرية وما قدمته إلى البشرية من علوم وفنون وأساطير كانت مصدرا لإلهام شعوب الأرض، فكانت هذه الأعمال الموسيقية فى العصر الحديث التى يتناولها الكاتب بالتفصيل والتحليل موسيقيا وتاريخيا، كانت عرفانا لما قدمه المصريون القدماء لحضارات العالم، فالموسيقى خير وسيلة للشكر وللتعبير عن مكنون النفس، وكما قال الفيلسوف الألمانى فريدريك نيتشه «الحياة بلا موسيقى خطأ فادح».

من الأعمال التى حللها التميمى تاريخيا وموسيقيا «أوبرا عايدة»، «أوبرا الناى السحري»، «أوبرا تحتمس الثالث ملك فى مصر»، «أوبرا موسى فى مصر»، باليه ليالى مصرية (آرنسكي)، «ليالى مصرية» (بروكفييف)، شهرزاد، «باليه ألف ليلة وليلة»، «أوبرا يوليوس قيصر فى مصر»، «الكونشيرتو المصري»، «باليه ابنة الفرعون»، أوبرا موسى فى سيناء»، «أوبرا كليوباترا»، «أوبرا تاهيس»، «أوبرا إخناتون»، أوبرا موسى وهارون»، «كانوبي»، «أوبريت محكمة الفرعون»، «أوبرا يوسف فى مصر»، «أوبرا الحملة الصليبية فى مصر»، «أوبرا خروج بنى إسرائيل من مصر»، «فى أرض مصر الغامضة»، «باليه طقوس الربيع»، «أوبرا تاهيس»، «أوبرا بطليموس ملك مصر».. وغيرها.

أوبرا عايدة

يقول التميمي فى سياق تحليله التفصيلى لأوبرا عايدة "عندما عرض كامى دى لوكل على صديقه الموسيقار جيوسيبى فيردى قصة "عايدة" التى كتبها عالم المصريات الفرنسى أوجست ماريت، تحمس فيردى ووجد فى موضوعها الفرعونى لونا لم يقدمه من قبل، كما لمس بخبرته الفنية الإمكانيات المسرحية والموسيقية بها، ولهذا وافق على تكليف الخديوى إسماعيل بتأليف أوبرا على هذه القصة؛ لكى تقدم فى افتتاح دار الأوبرا المصرية، ولكن حالت الظروف دون ذلك وقدمت أوبرا "ريجوليتو" فى الافتتاح بدلا منها وبعد عدة أشهر قدمت عايدة لأول مرة على المسرح نفسه فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧١ ليحقق العرض نجاحا هائلا ويحدث ضجة إعلامية كبيرة ويتحقق ظن فيردى فتصبح أوبرا "عايدة" من أكثر الأوبرات العالمية شهرة وإبهارا حتى وقتنا الحالي، استوحى "ماربيت" قصة أوبرا عايدة من بعض ظواهر الحياة والعادات المصرية القديمة التى ظهرت فى نقوش المعابد؛ مثل طقوس الكهنة ومواكب النصر وعادة "دفن الأحياء" التى عوقب بها راداميس بطل أوبرا عايدة فى نهاية الأوبرا. وقد نسج حولها قصة عاطفية ربطها بالحرب التاريخية بين مصر وبلاد الحبشة، قام بكتابة النص الغنائى لها "أنطونيو جيسلانزوني".

ويضيف "جاءت أوبرا عايدة لتمثل مرحلة فنية جديدة وصل فيها أسلوب فيردى إلى قمة النضج؛ حيث يهتم فيها اهتماما بالغا بالدراما، وحاول تجنب الأسلوب الإيطالى الذى يقسم الأوبرا إلى فقرات منفصلة تستعرض مهارات أداء المغنين على حساب تسلسل الدراما، كما تأثر فيها بأسلوب معاصره الألمانى ريتشارد فاجنر فى ربط الشخصيات الرئيسية للأوبرا (مثل عايدة، أمنيريس.. الكهنة) بألحان تؤديها الأوركسترا (ألحان دالة) عند ظهور الشخصية على المسرح.

أوبرا الناى السحري

وحول أوبرا الناى السحرى (الأمير المصرى ومحبوبته بامينا) لـ "فولفجانج أماديس موتسارت" يشير التميمى "تستند قصة الأوبرا لأحداث خيالية بعضها من التراث المصرى القديم والآلهة المصرية إيزيس وأوزوريس آلهة الخير والشر، والصراع الدائم بين الخير والشر، وبطل الأوبرا وهو الأمير المصرى الشهم والوسيم "تامينو" والأحداث فى قالب خيالى ممزوج بالمرح والموسيقى الساحرة التى تخلق حالة من المرح والغموض فى بعض الأحيان كعادة موتسارت. ويصف أحد الكتاب أوبرا الناى السحرى بأنها أشبه بحكاية من حكايات الجن فى ألف ليلة وليلة فائقة فى الرقة والعذوبة والجمال، تتأرجح بك أنغامها وألحان أغانيها وكلماتها بين مملكتى النعيم والجحيم بصورها الزاهية وألوانها المتألقة، وبتناقضها الإنسانى الواقف على مفترق نجدين: وإما السعى الدؤوب وصولا إلى ما يقره الحظ من قناعة بسعادة دنيوية، وإما النفاذ بالبصيرة إلى عالم الحكمة السامية والحقيقة المثالية المطلقة.

ويرى أن موتسارت فى أوبرا الناى السحرى يلعب لعبة البساطة والعمق، والفرح والحزن وسائر التناقضات بموسيقاه المهذبة والمصقولة كالألماس، فهو مثلا يجسم فى شخصية باباجينو صياد الطيور وبائعها المرح الإنسانى الفطرى وخفة الدم، وقد كتب عليه هذا أن يمر بتجارب قاسية برفقة تامينو الأمير المصرى لتحرير بامينا من أسر مملكة الليل، وباباجينو هذا ظل يسعى بخفة دمه إلى متع الحياة البريئة من طعام وشراب مقايضة بطيوره، ولكن بنية بذيئة مع النسوة اللواتى كن يتحرشن به، وما أكثرهن يعترضن سبيله ويمازحنه على طيوره الجميلة التى يحملها فى قفص على كتفه ويرقص بها وينفخ فى صفارات من قصب الغاب مترنما فى الساحات والأزقة وتحت الشبابيك ويغنى بصوته الجهير أغانيه الرائعة المرحة.

أوبرا موسى فى مصر

ويوضح التميمى أن أوبرا موسى فى مصر (النبى موسى وفرعون مصر) تدور أحداثها بشكل عام حول خروج النبى موسى وقومه بنى إسرائيل من مصر لهم وملاحقته لهم حتى البحر الأحمر، وتحدث المعجزة المتفق عليها فى كافة الكتب السماوية؛ حيث ينشق البحر ويمر بأمان النبى موسى وقومه ويغرق الفرعون ويقول وهو يجود بأنفاسه الأخيرة؛ الآن قد آمنت بنبوة موسى.

يتابع "تبدأ الأوبرا بموسيقى هادئة وبألحان روسينى الساحرة، ثم تتلاحق الأحداث ويتغير رتم الألحان؛ لكى يناسب الأحداث التى تدور حول ملاحقة الفرعون لموسى وقصة حب بين ابن الفرعون "أمينوفيس" والفتاة اليهودية "آناي" التى تخطط لمنع مخطط الفرعون والكهنة والفرار من بطشهم. يفاجأ المشاهد بالمسرح مظلما تماما فى البداية وألحان روسينى التى تتسم بالغموض أحيانا، والأوبرا مكونة من أربعة فصول وفى الفصل الأخير تتحول خشبة المسرح لشاطئ البحر الأحمر؛ حيث يفر موسى وقومه ويغرق الفرعون وجيشه.

باليه ليالى مصرية

ويلفت التميمى إلى أن الموسيقار الروسى أنطوان آرنسكى ترك أعمالا موسيقية خالدة منها أوبرا "حلم على نهر الفولجا" وأوبرا "رافييل ١٨٩٤، وأوبرا "نال ودميانتي" ١٩٠٣، وأن له عمل واحد فى الباليه وهو باليه ليالى مصرية (كليوباترا ومارك أنطونيو) ١٩٠٠، وله العديد من المؤلفات على البيانو ومؤلفات لموسيقى الحجرة.

ويقول: "باليه ليالى مصرية مكون من ثلاثة عشر مشهدا وتدور الأحداث بشكل عام حول كليوباترا ملكة مصر وحياة المصريين القدماء التى كانت مليئة بالعادات الغامضة، والباليه مليء بالرقصات كرقصة الفتيات المصريات فى المشهد السابع، ورقصة الفتيات اليهوديات فى المشهد السادس، ورقصة العبيد فى المشهد الثالث، وينتهى بمشهد دخول مارك أنطونيو بمصاحبة موسيقى آرنسكى الرائعة".

أوبرا العيد والحب والآلهة المصرية

ويذكر التميمى فى تفاصيل تحليله لأوبرا العيد والحب والآلهة المصرية (أعياد مصر القديمة وأساطيرها) للموسيقار جون فيليب ريمو ، يتخللها رقصات باليه من ثلاثة فصول، قدمت لأول مرة فى الخامس عشر من شهر مارس عام ١٧٤٧ فى فرساى، النص الدرامى من تأليف لويس دى كاوزاك، قدم العرض بمناسبة الاحتفال بزواج وريث عرش فرنسا بماريا جوزيف أميرة ساكسونيا، فى عام ١٧٧٦م أى بعد وفاة جون ريمو، قُدم العرض للعامة وحاز على إعجاب الجمهور وقدم أكثر من مائة مرة فى باريس ومدن فرنسية أخرى، الأوبرا مستندة إلى الأساطير المصرية، أوبرا العيد والحب والآلهة تتضمن سبع رقصات، يتم المزج بين الكوميديا والرقص والدراما بحرفية وإتقان، فنستطيع القول "إن جون فيليب ريمو قد نجح فى رسم اللوحة المصرية من خلال الموسيقى والأحداث والملابس.

ويوضح أن الفصل الأول من هذه الأوبرا يستند إلى قصة أوزوريس ورقصات الشر والمؤامرات، والفصل الثانى عن الجرار الكانوبية التى كان يحفظ بها الأحشاء أثناء عملية تحنيط الجثث وقدم هذا الموضوع مرتين فى تاريخ الموسيقى الكلاسيكية الفرنسية مرة من خلال ريمو، والمرة الأخرى من خلال معزوفة على البيانو لديبوسي، والفصل الثالث عن إيزيس، وينتهى العرض برقصة خادمات إيزيس نهاية سعيدة.

كبار مؤلفى الموسيقى العالميين يستوحون أسرارا وأساطير وقصصا من الحضارة المصرية القديمة

تقرير - محمد الحمامصي

باليه ليالى مصرية

مشهد من مشاهد أوبرا بطليموس ملك مصر

افتتاحية الرحلة إلى مصر

أوبرا تاهيس

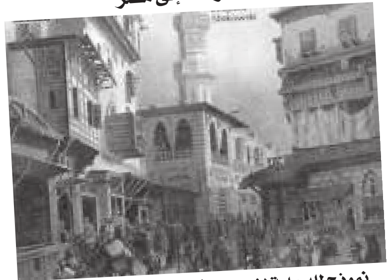
نموذج للدعاية لشهرزاد لأوركسترا لندن السيمفونى

«إيان بيترسون» فى دور أموناسرو و«كلير روتر» فى دور عايدة- لندن

فى أرض مصر الغامضة

أوبرا عايدة

لقاء تامينو وبامينا

«أندريا سونتشيتى» فى دور موسى

«بول فلايت» فى دور إخناتون

أوبرا يوليوس قيصر فى مصر

أوبرا الحملة الصليبية فى مصر

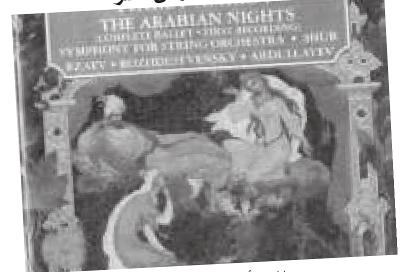
باليه ألف ليلة وليلة

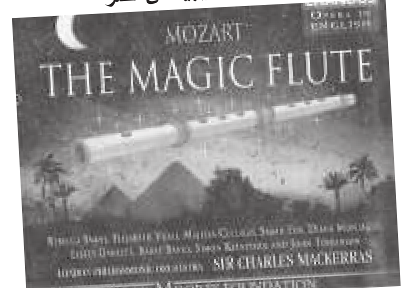
أوبرا الناى السحرى

باليه طقوس الربيع أو «قرابين الربيع» للمؤلف إيجور سترافيسكى

ما بين كلب المتنبي وحصان امرؤ القيس

حين ذهب المتنبى إلى لبنان ليمدح الكاتب على بن هارون بن عبدالعزيز الأوراجى فى سنة (ثلاثمائة وسبعة وعشرون من الهجرة)، ضن عليه على بما يريد، فأقام المتنبى عنده مدة يستجم من مشقة السفر ويروح عن نفسه بالاصطياد وطراد الفرائس، وذات يوم طلب منه الأوراجى أن يصف له كلب ابن مالك الذى استطاع وحده دون معونة من صقر أن يصطاد ظبيًا، فقال المتنبى ارتجالا أرجوزته و«منزل لنا ليس بمنزل»، ويلاحظ فى تلك القصيدة أن هناك تشابه بين هذه القصيدة ومعلقة الشاعر امرؤ القيس، تشابه وليس معارضة، فقارئ هذه القصيدة سيرى أن المعلقة كانت فى ذهن صاحبنا وهو يرتجل قصيدته تلك، سواء فى القافية وتشابها أو فى بعض التشبيهات والصور البلاغية، ما يوحى بلفتة جميلة وهى كيف أن المتنبى جعل من كلبه ندًا لحصان امرؤ القيس، لفتة تتماشى مع شخصية المتنبى الذى عرف باعتزازه بذاته، لا يمدح الملوك فقط وإنما يمدح ذاته فى حضرتهم يعاتبهم معاتبة الند للند، صورة لشاعر وأديب لم تعرف مثله الثقافة العربية من قبل أو بعد.

ويأتى التشابه فى القصيدتين أولا من ناحية القافية. والثانى فى أخذ المتنبى من صفات حصان امرؤ القيس وإعطائها إلى كلبه.

ومن الأمثلة على الجانب الأول المتعلق بتشابه كلمات القافية. يبدأ المتنبى أرجوزته بقوله «وَمَنزل ليسَ لنا بِمَنزل»، وهو ما يحلينا مَعً اختلاف بَحرَ القصدتين بين الرجز المعروف باسم «حمار الشعراء» وبين بحر الطويل فى مطلع معلقة امرؤ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»، فحرف الروى واحد فى القصيدتين، ويعطى مطلع المتنبى معنى الاغتراب والوحدة وتحول المكان إلى أطلال وهو الحال ذاته الذى يصفه امرؤ القيس.

يواصل المتنبى تناصه مع معلقة أمرو القيس على مستوى القافية، فتتوحد مع المعلقة فى كلمات مثل الشمأل، ويذبل، والقرنفل، فيقول المتنبي «كأنها من سُرعَة فى الشمأل، كأنها من ثقّل فى يَذّبُل» وهى تتساوق مع ما جاء فى أبيات المعلقة فى «لما نسجَتها من جَنوب وَشَمأل»، وفى بيت «فيا لَكَ من ليلٍ كأنّ نجومه× بكل مُغار الفتل شُدّت بيَذبُل»، وفى «القرنفل» يقول المتنبى «ندى الخزامي ذفر القَرَنفل، مُحَلّل ملوَحش لم يُحَلّل»، وتأتى هذه القافية أيضا عند امرؤ القيس هو يصف حبيبته «إذا التفَتَت نَحوي تَضَوّعَ ريحُهَا، نَسيِمَ الصَّبَا جَاءَت بريّا القرنفُل».

وفيما يتعلق بالجانب الثانى من التشابه المضمونى نلاحظ أن المتنبي وصف كلبه بأنه «لهُ إذا أدبَرَ لحظ المُقبل، كأنّما يَنظُرُ من سَجَنجَل، يعدوَ إذا أحزَنَ عدوَ المسهل، إذا تلا جاءَ المَدى وقد تُلي» فنحن أمام كلب شديد السرعة يرى من الأمام كما يرى من الخلف كأنه يملك مرآة تجعله يرى ما يحدث خلفه وليس الأمام فقط (تشبيه لطيف كأنه يتحدث عما هو موجود فى المرآة الموجودة فى السيارات حاليًا التى تتيح للسائق رؤية الخلف)، وهذا الكلب يجرى فى الأرض الصعبة غير المستوية كأنه يجرى فى سهل مستوى يتساوى لديه الحزن والسهل، قادر من فرط سرعته أن يسبق المدى، وكأن المتنبى يحدثنا هنا عن حصان امرؤ القيس مكرّ مفرّ مقبل مدبر معًا .كجُلمود صَخرً حَطّه السَّيل منً عل» الذى يتحدث عن فرس شديد السرعة فى الكر والفر فى آن، وفى سرعته مثل جلمود صخر حطه السيل من قمة الجبل، شبه حصانه فى السرعة بالجلمود حطه السيل من أعلى الجبل، فهو فى هذه الحالة شديد السرعة فكيف الحال إذا أعانت هذا النزول قوة كقوة السيل.

وإذا كان امرؤ القيس وصف حصانه بأنه من الصخر، فالمتنبى لا يغيب عنه هذا المعنى أيضا فيقول «كأنّه مُضبّرٌ من جَروَل/ مُوَثّقٌ عَلى رماح ذُبَّل» أى كأن كلبه منحوت من الصخر، ثابت موثق على قوائم طوال مثل الرماح الذبل أى الرماح اللينة، وهنا يجمع المتنبى بين القوة والليونة القوة فى الصخر ، والليونة فى رماح الذبل.

ومن المعانى التى يأخذها المتنبى ويغير من دلالاتها بما يتناسب مع فكرة قصيدته المعنى الذى يأتى فى قوله «ذى ذَنَبٍ أجرَدَ غَيرَ أعزَل/ يَخُطّ فى الأرضِ حِسابَ الجُمَلِ» يقول أن كلبه له ذيل قليل الشعر ليكون خفيف الحركة، وغير أعزل والعزل هو ميل الذنب وهو عيب غير موجود فى هذا الكلب، وهذا الذيل طويل يخط فى الأرض دفعة بعد أخرى فيمحو الثانى ما يخط الأول، كما يفعل الحسّاب هم يكتبون على الألواح الخشبية يكتبون ويمسحون ما كتبوه. ذلك المعنى موجود أيضا فى معلقة امرؤ القيس عندما ذهب إلى حبيته وقد نضت لنوم ثيابها «فَقالَت يَمينَ اللهِ ما لَكَ حيلَةٌ/ وَما إن أرَى عَنكَ العَمَايَةَ تَنجَلي/ خَرَجتُ بِهَا تَمشِي تَجُرُّ وَرَاءَنا/ عَلى أثرَينا ذَيلَ مِرطٍ مُرَحَّل» خرج بتلك الحبيبة من الحَى فكانَ ذيل فستانها الطويل يمحو آثار أقدامهم فتخفى آثار خطواتهم على الرمل .

وإذا كان امرؤ القيس وصف حصانه بأنه مكر مفر مقبل مدبر فى إيقاع سريع، فلا يغيب ذلك الإيقاع السريع عن قصيدة المتنبى وهو يصف كلبه بأنه «أقب ساط شرس شمردل» والأقب هو ضامر البطن، والساطى البعيد بين الرجلين إذا مشى، والشرس أى سيء الخلق، والشمردل هو الطويل وقيل خفيف الحركة.

فحل كلابى وثاق الأحبل/ عن أشدق مسوجر، مسلسل، أقب ساط شرس شمردل» والكلاب صاحب الحلب، والوثاق الحبل، والأشدق واسع الشدقين هما شق الفم عن يمين وشمال، ومسوجر أى أن فى عنقه ساجور.

ومن المعانى التى يأخذها المتنبى من امرؤ القيس هو يصف علاقته مع فاطمة فيقول لها معاتبًا «أفاطِمُ مَهلاً بَعضَ هذا التَّدَلُّل /وَإن كُنتِ قَد أزمَعتِ صَرمي فَأجمِلي/ وَإن كنت قَد سَاءَتك مِنّي خَلِيقَةٌ/ فَسُلّي ثِيَابي مِن ثِيَابِكَ تَنسُلِ/ أغَرَّك مِنّي أنّ حُبَّك قَاتِلَي/ وَأنّك مَهمَا تَأمُري القَلبَ يَفعَلِ»

صَفة التملك تَلك والتجبر على المحبوب نجدها فى كلب المتنبى «مقتحمًا على المكان الأهول، يخال طول البحر عرض الجدول، حتى إذا قيل له نلت افعلي» ويا لها من مفارقة بين فعل فاطمة وفعل كلب المتنبى «حتى إذا قيل له نلت افعلي» و «تأمرى القلب يفعل» فكلاهما له السطوة على المحب وفى عبارة أخرى الفريسة.

د. عبدالكريم الحجراوي

12

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفي:
هالة سعيد عباس

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 336 – السنة الثالثة عشرة - الإثنين 7 أكتوبر 2024 م الموافق 4 ربيع الثاني 1446 هـ

صناعة العجز والمعاناة

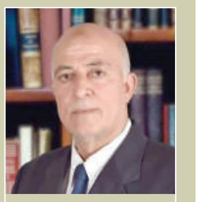

بقلم: سعيد صابر

توجهت بالأمس الى مستشفى الموظفين للعرض على الإستشارى لصرف علاجي الشهرى المتكرر .. بدأت الرحلة صباحا للمنطقة الطبية التابع لها .. تم التسجيل من خلال طابور ثم العرض ثم التحويل إلى الإستشارى .. الذى وصلت إليه فى تمام الواحدة ظهراً، فرمقنى بنظرة وأردف قائلا: تحضر غدا فى التاسعة صباحا .. فأخبرته باننى مريض قلب وسكر ولا أستطيع تحمل كل هذه المعاناة وتكرارها .. فأجاب بصلف: هذا لا يعنينى أنا ملتزم بعدد محدود من الحالات (شغال بالحتة) ثرت عليه ولعنت أبو خاش الكل، نعم أعنى تماماً الكل، هو ومن يقوده ومن تركه يعامل المرضى بصلف دون عقاب.

توجهت لمدير المستشفى فكانت البلوى الأعظم حيث أجابنى أننى ليس لى سلطة عقابه، وأخبرنى أن التأمين الصحى مستأجر لعيادات المستشفى .. أنظروا معى إلى عبقرية الدولة وعبثها بالمواطن، فأجبته يعنى أيه مأجرين هو كشك سجاير فى ميدان رمسيس؟.. قلت له لن أتحرك من هنا إلا بعد أداء الخدمة لى، وهذا حقى عليك وعلى وزيرك وعلى رئيس الدولة نفسه. فقال لي: إذاً إذهب لرئيس الخدمات الطبية لمنطقة شمال الجيزة ومكتبه على بعد خطوات من المشفى .. حسناً توجهت يقودنى سخطى على كل شيء صعدت الى مكتب المدير فمنعت من الدخول، فدخلت عليه بالقوة وبدأت موجات الغضب تسيطر على حديثى معه، وقلت له: الأن أريد علاجى ولا يعنينى مبرراتكم الواهية والسخيفة، وسأتواصل الأن مع مجلس الوزراء حالاً.

كيف يطيب لكم الجلوس على كراسيكم أيها الحمقى والفاشلون

هدأ الرجل من ثورتى وبدأ يجري إتصالاته، المهم تم كتابة الدواء لي وشكرته وانصرفت. توجهت إلى الصيدلية لصرفه فلم أجده، توجهت لصيدلية أخرى فلم أجده أيضا.

عدت مجدداً من حيث بدأت فقرروا الصرف من الصيدليات الخاصة، فعلت فلم أجده أيضا، بعد كل هذه المعاناه يماطلوننا على صرف دواء غير موجود لا بالصيدليات العامة ولا الخاصة .. يا إلهى ما كل هذا العجز؟ كيف يطيب لكم الجلوس على كراسيكم أيها الحمقى والفاشلون وماذا تبقى من الدولة إذا .. حفنة من المؤسسات المهترئة والبليدة .. وبعد كل هذا تحدثوننا عن الوطن والإنتماء .. أين الوطن؟! ولمن ننتمى .. للعجز والفشل والفساد وديدان العفن .. أما آن لكم أن ترحلوا جميعاً وتتركوا لنا هذا الوطن؟.. أتركوه لمن أحبه وضحى من أجله، فهم وحدهم القادرون على البعث والبناء وإعادة العافية فى أوصاله.. أما أنتم فلا أمل يرجى منكم.. بالمناسبة تذكرت اعتذار رئيس الوزراء للأخوة السعوديين عن تصديرنا البيروقراطية إليهم.. كان أولى بك أن تعتذر للشعب المصري عما تفعلوه بنا ببيروقراطيتكم القميئة التى جعلتموها شرعة ومنهاجا لأدائكم للأسف.. لا أطلب منكم التغيير، لأنكم لا تقدرون عليه فمن تعود الحبو والانبطاح لا يقوى على السير تحت الشمس بشموخ.. ستبقى لعناتنا تلاحقكم وسيدينكم التاريخ وستظللكم بيارق الخزى والعار.

والى الشعــر :

لساكى قادرة ع الأذان ..... وأنا فى الميدان
ومعايا غيرى من الولاد .... أكبر عدد .. الله مدد
حى على هذا البلد .... نزرع غيطان القمح .. بسنابل دهب

حرب التسوية

بقلم: أحمد عادل هاشم

هى الحرب الأخيرة الجارية الآن بين المقاومة العربية . الإسلامية فى فلسطين المحتلة ولبنان واليمن والعراق من جهة وإسرائيل وأمريكا والغرب الاوروبى المتواطىء مع تل أبيب من جهة أخرى.. لن تكون الأخيرة بالطبع فى مسار الصراع الوجودى بيننا وبين الصهيونية، إنما الأخيرة فى ظل النظام الأمنى السائد حاليا فى الإقليم.. نظام أمنى قائم على هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مصير العرب (الثروة . الجغرافيا)، بعصا صهيونية، لا تعرف سوى الجرائم والذبح والحرق والتدمير.. نظام أمنى كل وحداته السياسية خائفة من حالة «الأمن» فى الإقليم .. نظام أمنى إقليمى استنفد مبررات وجوده، وحان وقت تغييره بالقوة، طالما أن التفاوض السلمى لا يلبى اهداف نتنياهو فى السيطرة على الشام الكبير والانتشار من المحيط للخليج، ولا يوفر الطمأنينة للعرب، ويهدد دول الخليج بفزاعة إيران، ويفشل فى وقف المذابح فى السودان والدمار فى اليمن، ومآلاته قد تنذر بتقسيم سوريا ، واتفاقيات الدفاع المشترك فيما بين العرب باتت حبرا على ورق .. المغرب العربى الكبير يشكو هو الآخر من «الحالة الأمنية» التى تؤجج نيران الصدام بين المغرب والجزائر .. حالة أمنية شطبت ليبيا من الخريطة السياسية العربية (مؤقتا) ، تفتح الباب لتيارات العنف الدينى فى بغداد ودمشق للإنقضاض على الدولة تحت شعارات هائمة يستحيل الإمساك بملامحها الوطنية.

النظام الأمنى فى الإقليم استنفد مبررات وجوده السياسى :

اليمين الصهيونى بقيادة تنياهو يعتبر أن تلك الحرب هى الأخيرة له لتحقيق»حلم» مشروع الهيمنة المتمثل فى القضاء على المقاومة وتفريغ غزة من سكانها وتهجيرهم وابتلاع الضفة بالمصادرة والمستوطنات ثم الالتفاف إلى صنعاء وبغداد قبل أن يحط أقدامه فى الرياض.. ولأن إسرائيل تفهم الجغرافيا بالأمن ،وتفهم الأمن بالقوة والغطرسة ، فإن الحرب الدائرة الآن لابد أن تكون الأخيرة لها فى ظل هذا النظام الأمنى الذى يؤخر كثيرا المشروع الصهيونى فى الهيمنة (كما يعتقد اليمين الدينى هناك) .. إسرائيل تدرك أنها حرب التسوية بالقوة لفرض اتفاقات سياسية تُمَكّن نتنياهو من تعليق خريطة الشرق الأوسط التى يحلم بها على حائط الكنيست.. والظرف الاستراتيجى العام يمنحه فرصة، ربما تكون الأخيرة.

هى أيضا الحرب الأخيرة للمقاومة الفلسطينية واللبنانية للبقاء والوجود ، بما يُفشل المشروع الصهيونى برمته، أو الفناء (إلى حين) وخسارة كل شيء :الأرض والسلاح والحضور السياسى ..كذلك هى حرب أخيرة لإيران فى ظل هذا النظام الأمنى الذى تأسس فى أعقاب حرب اكتوبر ٧٣.. إذا صمدت المقاومة ولم تنكسر ، فإن طهران تتقدم إلى موقع جيوسياسي، يمكنها من حل مشاكلها مع الغرب وفرض حضورها المؤثر فى أية تسويات سياسية مقبلة وفرض إشراك المقاومة الفلسطينية واللبنانية فى مفاوضات التسوية الأخيرة.. وإذا فرض نتنياهو إرادته السياسية بقوة السلاح، فإن إيران أمام مصير مجهول ينذر بعواقب وخيمة.

هى الحرب الأخيرة بالنسبة للأردن فى ظل هذا النظام الأمنى القائم بالمنطقة .. انتصار نتنياهو يعنى الانتقال إلى محطط تهجير سكان الضفة الغربية إلى المملكة الهاشمية ، ما يؤدى إلى انفجار الأوضاع هناك ويهدد بزوال المملكة ذاتها خصوصا إذا ما اشترط نتنياهو فى التسوية القادمة بعد وقف النار فى كل الجبهات، إكسابه مشروعية حق التدخل بالقوة فى أى دولة عربية تحتضن المقاومة أو حتى تحرض على إسرائيل.. شرط قد يفضى بالضرورة إلى سن تشريعات فى بلاد العرب تعاقب أى وكل خطاب كراهية وعداء لإسرائيل.

هى الحرب الأخيرة للداخل المحلى اللبنانى أيضا، بين قوى الثامن والرابع عشر من أذار، الذين تشكلا فى أعقاب اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريرى. كلاهما يسعى إلى إلغاء الآخر إلى مستوى الصراع حتى النهاية ، ولو كانت النتيجة ذهاب البلاد إلى المجهول.. هى الحرب الأخيرة التى ينتظر نتائجها بفارغ الصبر النخب السياسية المعادية لحزب الله ، فالحزب هو قائد تيار الثامن من آذار، الرافض للمشروع الأمريكى الإسرائيلى بترويض لبنان ونزع سلاح المقاومة منها ، مع وعود بإعادته إلى سابق عهده ، باريس الشرق.. فإما نهاية سلاح حزب الله والخلاص من أكبر مشاكل «الدولة» وإما استمراره ووجوده بنصوص قانونية ملزمة فى التسوية المقبلة تقطع الطريق على مشروع «باريس الشرق» الذى تروج له النخب فى قوى ١٤ أذار التى تضم حزب الكتائب الذى سبق وأن قاتل إلى جانب إسرائيل فى مواجهة الفلسطينيين ، ولا تمانع فيه اسرائيل باعتباره الحل الأمنى المستدام لها فى جبهتها الشمالية.

. هى أيضا قد تكون الحرب اللازمة قبل إبرام أية تسوية سياسية فى اليمن، تحدد موقع وموضع القوى والتيارات المتصارعة هناك من السلطة ، وترسم علاقة جديدة مع السعودية بما يضمن الاستقرار فى جزيرة العرب وباب المندب.. الحرب الأخيرة بين اسرائيل والمقاومة فى غزة والضفة و لبنان والعراق واليمن وسوريا تحتاج لها الجغرافيا السياسية فى جنوب الجزيرة العربية لتقرر ما إذا كانت تضاريسها ستتشكل على يد نتنياهو أم تتحتها المقاومة.

فى الخليج أمنيات بأن تكون الحرب الأخيرة التى تسبق التسوية السياسية فى الإقليم ، وتحدد شكل العلاقات الخليجية مع إيران وإسرائيل بما يتماهى مع مصالح دول مجلس التعاون الخليجي، بيد أن سيناريو «انتصار المقاومة يرفع مستوى الخوف الخليجى من إيران االداعمة للفصائل العربية المسلحة المساندة لغزة ، بالمال والسلاح والسياسة،وكما تشير بعض التحليلات، فإن الموضع «الجيوسياسي» الذى تحصل عليه إيران إذا ما صمدت المقاومة وكسرت الجموح الإسرائيلي، يكون فى نظر «المحور الخليجي» تهديدا للاستقرار الإقليمى الذى يعتبر أمراً حيويا لحلم النمو الاقتصادى وفق برنامج "رؤية ٢٠٣٠" لصاحبها ولى العهد السعودى (جريدة القدس العربى ١ أكتوبر)..

النظام العربى يقف هو الآخر على رأسه.. هو بلغة الشارع فى «حيص بيص» انتظارا لما تسفر عنه الحرب الأخيرة ، أو»حرب التسوية»الجارية الآن .. من الطبيعى أن تطلب الأنظمة العربية الحاكمة الاحتفاظ بمواقعها فى الثروة (على الأقل) فى جغرافيا نتنياهو «المقبلة» ، بوعود أمريكية وتعهد إسرائيلى ، وفى جميع الأحوال ، يبدو أن العرب سيدفعون ثمنا سياسيا لتسديد فواتير الحرب بيد أن سيناريو «المقاومة» يرفع مستوى الخوف الخليجى من إيران إذا ما انتصر محور المقاومة الذى تدعمه بالمال والسلاح والسياسة، وكما تشير بعض التحليلات، فإن الموضع «الجيوسياسي» الذى تحصل عليه إيران إذا ما صمدت المقاومة وكسرت الجموح الإسرائيلي، يكون فى نظر «المحور الخليجي» تهديدا للاستقرار الإقليمى الذى يعتبر أمرا حيويا لحلم النمو الاقتصادى وفق برنامج "رؤية ٢٠٣٠" لصاحبها ولى العهد السعودى (جريدة القدس العربى ١ أكتوبر).... سواء انتصر نتنياهو أم صمدت المقاومة واحتفظت بوجودها وسلاحها .

قدامى المقاتلين

بقلم: معصوم مرزوق

حدث ذلك بعد أن قام الإرهابيون الأنذال باغتيال رجالنا ساعة إفطار رمضان عام ٢٠١٢ ، حينها قمت بالإتصال بعدد ممن بقى على قيد الحياة من رجال العبور كى ننظم وقفة عند المنصة فى مواجهة نصب الجندى المجهول .

كنت اول من وصل الى منطقة التجمع عند نصب الجندى المجهول ، وبينما كنت اقف وحدى توقفت سيارة أمامى فجأة ..كان بها شاب وفتاة .. سألنى الشاب لماذا اقف ومعى العلم ، لان مباراة الاهلى لم تبدأ بعد ؟ ، وغمز بعينه قائلا ان ذلك فأل طيب على كل حال ..

ضحكت من قلبى وشرحت له سبب وجودى .. وفى البداية بدا هو والفتاة منتهى الإحباط والضيق من كل شئ .. وعندما كنت احكى له عن شهداء سيناء ، لاحظت ان الدموع قفزت الى عينيه .. فوجئت به ينزل من السيارة ليعانقنى ويدعو الله ان يوفق مصر .. ثم انصرف بسيارته ..

وفى طريق العودة بعد وقفة قدامى المحاربين عند النصب التذكارى للجندى المجهول ، انتابتنى مشاعر مختلطة .. رجال لم التق ببعضهم منذ سنوات وقد جلل الشيب راسهم .. رفيق الصاعقة احمد يقول بحماس وبصوت شرخته السنين « إحنا لازم نروح سينا يادفعة .. لا يمكن تضيع واحنا لسه عايشين »- .. بطل الصاعقة محمد التميمى بنفس الملامح الصارمة للفدائى الذى حير قوات العدو اثناء حرب الاستنزاف ، الأديب الرائع جمال الغيطانى .. وغيرهم كثيرون ..

إحنا لازم نروح سينا يادفعة .. لا يمكن تضيع واحنا لسه عايشين

ولكن من ناحية اخرى أحزننى ان بعض الشباب حاولوا التحرش بى لأننى كنت أضع « الكوفيه الفلسطينية « على كتفى ومكتوب عليها « القدس لنا « ، وبعد نقاش مرهق اقتنع الشباب ، ولكن سيدة عجوز فاضلة انقضت وهى تقذف من لسانها الطيب ما لذ وطاب من اوصاف الخيانة وإننى احب حماس اكثر من شهدائنا .. الخ ..

همس لها الاستاذ جمال الغيطانى بان من تهاجمه هو احد ابطال الصاعقة والعبور .. ويبدو انها لم تكن تسمع سوى نفسها ، فقد ظلت تقول اننا يجب ان ندافع عن مصر فقط ، وتروح فلسطين فى داهية !! ، تركتها ولكنها لاحقتنى تطلب منى بحدة ان اخلع الكوفية والا ... ، أبعدتها بادب وحسم ..

حضر الوقفة أيضاً بعض شيوخ سيناء وبعض ممن كانت الصاعقة تتعاون معهم خلف الخطوط ، وسمعت منهم أمورا خطيرة ..

اقترب منى محرر شاب من صحيفة الشروق ، واقسم انه يسمع هذا الكلام لاول مرة ، وسألنى اين كنتم ؟ اين كان كل هؤلاء المقاتلين يختفون .. قلت له ببساطة انهم فرغوا من المهمة التى كانوا مكلفين بها ثم عادوا لمواجهة اعباء الحياة مثل كل الناس ..لم يطلبوا شيئا ولا يجوز ان يطلبوا اى شئ ..

اشرت الى رجل كهل يتوكأ على عكازه بصعوبة ، وقلت للصحفى « هذا الرجل كان احد اساطير الصاعقة ، وهاهو يحضر اليوم مستعدا للقتال مرة اخرى من اجل سيناء « ..

بعض ما حدث ذكرنى بمشاجرة عندما تم اغتيال الكاتب يوسف السباعى ، وكانت هناك مظاهرة قليلة العدد تهتف : « لا فلسطين بعد اليوم « .. وكاد بعضهم يفتك بى لولا ان صحتى وقتها كانت تسمح بالصمود.. وذلك لأننى اردت فقط ان اقول لهم ان فلسطين مسالة امن قومى مصرى لا يمكن الفرار منها حتى لو اردنا .. غسل العقول وتلويثها جريمة شارك فيها اغلب النخب ..

بعد العودة ، كتبت بيان أبطال العبور الذى تم نشره فى اليوم السابع وتضمن رغبة هؤلاء الكهول فى حمل السلاح لمواجهة الإرهاب فى سيناء.

تساءل ما هو المطلوب منا أن نفعل حتى نجد عملا؟

شريف خير الله لـ «المشهد»: لا مكان للموهوبين فى الوسط الفنى

الفنان شريف خير الله واحد من جيل الوسط في الفن المصري ، تخرج من كلية التجارة ثم تخرج بعدها في المعهد العالي للفنون المسرحية بسبب حبه للفن ، كانت بدايته الفنية عام ١٩٨٩م وشارك في العديد من المسلسلات المصرية، تنوعت أدواره فقدم أدوار الشر في العديد من أعماله وقدم أدواراً تاريخية في أعمال آخرى مثل دور مكرم عبيد باشا والشيخ زكريا أحمد .. له ابن وحيد وهو (خالد شريف خير الله).

شارك في مسلسلات: ورا كل باب ج ٢ – الدخول في الممنوع – أهل الهوى – النار والطين – الخفافيش – مشرفة ..رجل من هذا الزمان – وعادت القلوب – الفدان الاخير – أم العروسة – الإختيار- ريا وسكينة. أما في السينما فشارك في: كلاشنكوف – حاحا وتفاحة – وحياة قلبى وأفراحه – فخ الجواسيس

" المشهد" ألتقت الفنان شريف خير الله وكان معه هذا الحوار :

من حق السعودية السعى إلى الريادة فى الفن لكن الفن المصرى هو الأكثر تاثيراً فى الوطن العربى

أحمد زكى مثلى الأعلى واتمنى تمثيل دور الرئيس محمد نجيب

أشرف زكى يحاول جاهداً حل مشكلة البطالة فى الوسط الفنى .. لكن الحل ليس من سلطته

● أين أنت من السينما والدراما خلال الفترة الماضية ؟

– خلال الثلاث سنوات الأخيرة كنت متواجداً بشكل جيد وملحوظ ، لكن المشكلة الأكبر أنه لا يوجد مكان للموهوبين الذين يعتبرون هذه المهنة بأنها فن وتمثيل ونقل صورة حقيقية وواقع للمجتمع المصرى يؤدى إلى نجاحه ، وانا اعتقد خلال الفترة التى تم ذكرها سابقا شاركت فى أعمال فنية رائعة واهمها مسلسل الإختيار وهو عمل بطولى ومهم يمثل وجهة نظر المواطن المصرى فى الأحداث التى حدثت فى زمن الإخوان، والمشكلة أن بعد التكريم واراء النقاد والإعلاميين ونجاحى فى كل ذلك لا يوجد عمل، فما هو المطلوب بعد ذلك لأجد عملا فنياً؟.

●من المسؤول عن حالة البطالة لدى الفنانين الموهوبين ؟

– المسؤولون عن فن الدراما فى مصر وهما ليسوا واحدا أو اثنين بل عدة شركات وأشخاص ، فى الزمن القديم نذهب للعمل مع أحد المخرجين مثل مكتب» ابو عميرة» أو «انعام محمد علي» فعندما يراه الجمهور ويعرفوا أنه ممثل ناجح يقوم المخرجون بعد ذلك بإرسال عقود عمل له لأنهم يركزون على وجود نص جيد.

●ما سبب ذلك؟

– أعتقد أنهم لا يشاهدون الاعمال الفنية، وكل مخرج وكاتب او منتج يركز على شغله فقط بمعنى كل واحد منهم لا يرى إلا نفسه ولا يرون عناصر النجاح الملزمة فى العمل الفني، وتلك العناصر من ضمنها الممثل ومدير التصوير ومساعد الاخراج .. إلخ

والمسلسل يعمل به من من٣٠٠ إلى ٥٠٠ شخص لماذا لا يتم تغيير هؤلاء الأشخاص، لماذا لا يوجد مكان للآخرين، أنا كنت ممثلا فى مسلسل «ريا وسكينة « وهو مسلسل أذيع من أكثر من ٢٠ سنة ومازال الجمهور يتذكر هذا المسلسل ودورى فيه، وياخذون من المسلسل بعض الفقرات كنوع من «التريندات» وبعض رسومات الكومكس الفكاهية وغيرها من الأعمال وتريندات فى الأعمال الجديدة مثل مسلسل «اللى خلف مامتش» مع الفنانة «سوسن بدر» فما هو المطلوب منا جميعا بعد كل تلك الأعمال الناجحة ورغم كل هذه الأعمال لا يوجد عمل فنى واحد أعمل به هذه الفترة و»لسه قاعد عاطل فى المنزل».

● هل ترى أن النقابة دورها سلبى فى حل مشكلة بطالة الفنانين ؟

– أانا لا أجمل الأمر ولن أكذب وأقول أن نقابة الممثلين وعلى رأسها الدكتور «أشرف زكي» النقيب، للأمانة الشديدة هو يحاول بقدر المستطاع أن ينجز عمله فى توفير فرص عمل للفنانين، وكل من يحتاج إلى عمل ولكن ليس بيده أن يأتى بأبطال العمل، لأن العمل يحكمه توزيع وشراء وإعلانات، إلى آخره، لذلك يقوم المنتج باختيار الممثلين الذين يجلبون الإعلانات له ونقول عليهم نجوم العمل، ونقيب المهن التمثيلية ما عليه سوى اقتراح الأسماء على المخرجين والمنتجين وعلى الله التوفيق فهو يقوم بالمساعدة لانه ليس لديه سلطة عليهم.

● ماهى وجهة نظرك لحل تلك الإشكالية فيما يتعلق بالمرحلة الانتقالية هذه والقضاء على مشكلة البطالة ؟

– المشكلة الأكبر أن كم الإنتاج أصبح قليلا ، ففى وقت من الأوقات كنا ننتج مابين ٤٠ إلى ٥٠ مسلسلا فى السنة فكل تلك الأعمال والإنتاج كانت تستوعب جميع الفنانين والعمال، ولكن الآن لم تعد تلك الاعمال بهذا الكم ، والسبب الثانى اننا كنا ننتج لجميع الوطن العربى وكانوا يشترون جميع الأعمال ، حاليا أصبح لديهم إنتاجهم الخاص بهم وهذا حدث إثر التطوير الذى وصلنا له، ومع ذلك المسلسلات والمسرحيات السعودية قائمة على الفنان المصرى وأيضا فى حفلاتها وأكثر الدول المؤثرة فى مصر هى السعودية لقربها منا سواء سياسيا أو اقتصاديا وعلاقتها بنا .

● هل ترى أن تبنى السعودية الفن العربى واستدعاء الفنانين المصريين يساعد فى نقل الثقافة الفنية لها؟

– نعم بالطبع ، ومن حق السعودية السعى إلى نشر الفن والثقافة ، لأن السعودية تفعل ذلك من زمن طويل ولديها الفنانين ، واعتقد أنهم لم يكونوا قادرين فى الماضى على التعبير عن انفسهم من خلال الاعمال الفنية أو الأغانى ولكنٍ اليوم يستطيعون ذلك ، والاثبات أننى حاليا احب سماع بعض المطربين السعوديين مثل «محمد عبده» و«عبدالمجيد عبدالله» والذى حدث لدى السعوديين أنهم أصبحوا يملكون ادوات التطور وأصبح فنهم منفتحا على الآخرين وليس مغلقا كالسابق.

● هل ترى أن الأجور الفلكية لبعض الفنانين التى تصل إلى «٥٠ مليون» جنيه تؤثر على ميزانية الفيلم أو المسلسل ..وهى سبب رئيسى لعدم وجود أموال كافية لباقى المممثلين لذلك أدت إلى البطالة الموجودة حاليا ؟

– لا أعرف إذا كانت تلك الأجور حقيقة أم لا؟ انا لا أتخيل صراحة ، لا أستطيع تخيل أن هناك فنانا يأخذ تلك الأرقام الضخمة ولكن من المعروف أن هناك ميزانية لكل مسلسل وسوف نفترض أن «مائة مليون» جنيه لا يجوز أن يأتى أحد ويأخذ نصف الميزانية ومعنى ذلك أن كل عناصرالعمل سيتم أنفاق باقى المبلغ عليهم ، لذلك يلزم أن تضغط عليهم بالحصول على أجور أقل وايضا لا تأخذ اماكن تصوير تكلف كثيرا .

● هل ترى أن دور الدولة تراجع فى دعم السينما وما تأثير احتكار للشركة المتحدة للخدمات الإعلامية؟

– بالتأكيد ، الدولة تراجعت فى كل دورها بدعم السينما ، والشركة المتحدة هى تتبع الدولة وهذا ما أعرفه ، ولكن امكانياتها محدودة وسوف نفترض ميزانية محددة ينتجون بها السنة الحالية وهى تقوم بعمل «اربع» مسلسلات ليس أكثر من ذلك والسبب أن الميزانية محكومة وانما ليس احتكارا.

●ماهو الدور الذى ترغب فى تمثيله ولم تمثله؟

– كنت أرغب فى عملٍ دور»ٍمحمدٍ نجيب» اول رئيس مصرى الذى ظلم حياً وميتاً ولكن معظم رؤساء مصر ردوا اعتباره بتسمية مناطق على اسمه مثل محطة مترو بوسط البلد بالقاهرة وقاعدة محمد نجيب بمطروح .

● هل هناك ربط بين الرئيس المظلوم محمد نجيب والفنان المظِلوم شريف خيرالله ؟

– لا.. أنا لم أظلم والحمد لله وإذا قال الجمهور ذلك فهذا بسبب أنهم يشعرون بأن موهبتى وطاقتى قوية ولم اخد حقى وسط الفن والفنانين ويمكن أن يكون ذلك حدث بالفعل ، وانا لم أشعر بالظلم لأنى عندما اعمل شيئا وان كان صغيرا أرى ردود أفعال قوية جدا مثل ما تحدث سابقا عن اعمالى فى الماضى التى تكون الى الآن تريندات وفى أفكار الجماهير وردور أفعالهم إيجابية جدا وهذا يشعرنى بفرحة عميقة من داخلى واعلم وأشعر ان الناس يعيشون معى .

● هل ترى أن هناك أزمة ورق (سيناريوهات) فى مصر ؟

– لا ابدا ، لايوجد أزمةٍ ورق نهائيا بل كتاب السيناريوهات وخصوصاً فى الجيل الجديد لديهم فكر وأسلوب جديد وجيد فى الكتابة ، ويعبر بها عن زمنه وواقعه ونفسه والحالات الموجودة فى الوقت الحالى .

● من هو المفضل لديك فى كتابة السيناريو؟

– لا أحفظ أسماءهم ولكن من كتب مسلسل الإختيار جيد جدا وايضا مسلسل كلبشٍ و«باهر دويدار» ، ويوجد مسلسل حاليا يعرف باسم الليلة الكبيرة قام بكتابته «ثلاثة» شبان منهم محمد عباس واسلام مدنى .. اسلوب رائع جدا ، وانا لم اشتغل به بل قراته وحضرت تصويره فقط .

● من هو مثلك الأعلى من الممثلين ؟

– الفنان الراحل «أحمد زكي» كنت احب طبيعته فى الحياة وقدراته فى التمثيل، والفنان الراحل «نور الشريف» احب به ثقافته وأسلوبه فى الحياة فهو مرتب ومنظم ويحسب كل شئ والفنانات منهم «هند صبرى» «ومنى زكي» من الجيل الجديد والقديم «زهرة العلا» لأنها تستحق اكثر مما كانت عليه .

●من هم الفنانون العالميون المفضلون لديك؟

– أحب روبن ويليام ممثل لعب كل أدوار الكوميدى ويتميز بالبراعة ومن الممثلات العالميات مانى استريبت وجوليا روبرتس .

● فى نهاية حوارنا ، كلمنا عن روشتة علاج لحل مشاكل الوسط الفني؟

– الوسط الفنى لا تقدر على حل مشاكله روشتة ، لان الوجيعة موجودة علىٍ مر العصور وما يحدث حالياً كان موجوداً فى الأزمِنة السابقة لكن بشكل مختلف ومقبول نوعاً ما ، حدث مع كمال الشناوى ويوسف شعبان وشكرى سرحان ومع أشخاص من الزمن السابق أيضا مع عماد حمدى وحسين رِياض ومع اسماعيل ياسين ، ولكن نحتاج أن نفعل التواصل وهذا هو الحل وهو التواصل بينَ الأجيالٍ حتى تبقى الاستمرارية للتقدم وخصوصاً التقدم فى الفكر والوعى والثقافة.

حوار - إبراهيم خالد

السلامونى يروى قصة «الحب فى ميدان التحرير» مسرحيًّا

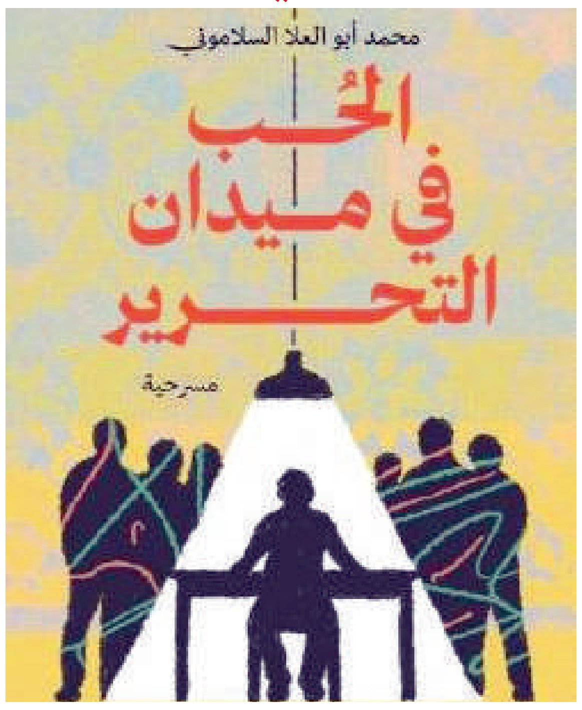

يرصد الكاتب المسرحى محمد أبو العلا السلامونى فترة مفصلية من تاريخ مصر فى مسرحيته الأخيرة «الحب فى ميدان التحرير» التى أصدرتها مكتبة دار الحكمة مؤخرًا بعد وفاة مؤلفها.

لا تبتعد المسرحية كثيرًا عن أسلوب السلامونى المسرحى الذى يجاهر بمعاداته للجماعات الدينية المتطرفة، وعلى الرأس منها جماعة الإخوان المسلمين التى يناصبها العداء إبداعيًّا وواقعيًّا منتصرًا للدولة المدنية ورافضًا الدولة الثيوقراطية.

تدور أحداث المسرحية فى خمسة فصول يتناول كل فصل منها مرحلة من مراحل ثورة الخامس والعشرين من يناير وصولاً إلى ٣٠ من يونيو ، عبر ثلاث شخصيات رئيسية هى أحمد ومنى العاشقان اللذين جمعتهما الثورة، فى وجه المحقق الذى يتلون وجه مع كل مرحلة من مراحل الثورة، ففى البداية كان ضد الثوار بوصفه يعمل فى جهاز الأمن الوطنى ويتهم شباب الثورة بأنهم ممولون وينفذون أجندات خارجية، وفى الفصل الثانى يصر على عمل فحوصات كشف العذرية للبنات المشاركات فى ميدان التحرير ويتهم شباب الثورة بأنهم ماجنين ومخربين، وفى الفصل الثالث يتحول إلى ممثل لنظام الإخوان ويتهم شباب الثورة بأنهم كفار وأنهم ضد الدين، يتواصل نهجه فى الفصل الرابع بمشاركته فى فض اعتصام قصر الاتحادية بالقوة مع ميليشيات متطرفة، ويكون سببًا رئيسًا فى استشهاد الشابين أحمد ومنى رمز الثورة الجميل. فيما يرصد الفصل الخامس نجاح ثورة ٣٠ من يونيو فى إزاحة نظام الإخوان، تلك الثورة التى أعادت لمصر هويتها الحضارية المسلوبة.

تنتمى المسرحية إلى المسرح السياسى وتشتبك مع الواقع السياسى المصرى الآني، وتكشف أحداثها أن مؤلفها قد كتبها فى فترة الغليان الثوري، وتعتبر وثيقة اجتماعية لهذه الفترة.

ويشير محمد أبو العلا السلامونى ــــ كما هو فى صورة المخطوط الذى نشرته بيت الحكمة ــــ تم المراجعة وحذف بعض المقاطع (موقعة بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠٢٢م)، لكن روح النص تكشف أنه كتب قبل ذلك التاريخ بكثير مواكبًا لأحداث الثورة، وما يؤكد ذلك تصريح للمؤلف نُشر ١٩ ديسمبر ٢٠١٣م فى موقع ٢٤ بأنه انتهى من كتابة مسرحية بعنوان «الحب فى ميدان التحرير»، مما يفتح باب التساؤل حول ماهية المقاطع التى حذفها السلامونى قبل الدفع بكتابه إلى المطبعة هو أمر لا يمكن الإجابة عليه دون الرجوع إلى المخطوط الأول للمسرحية.

د. عبدالكريم الحجراوي